الخُطُوَاتُ العَمَلِيَّةُ

فِي تَرْبِيَةِ البَنَاتِ وَالبَنِينَ

التَّرْبِيَةُ السَّوِيَّةُ

تَأْلِيفُ

أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ

خَلِيلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الحَمَادِيِّ

تقديم

فضيلة الشيخ المحدِّث

يحيى بن علي الحجوري حفظه الله

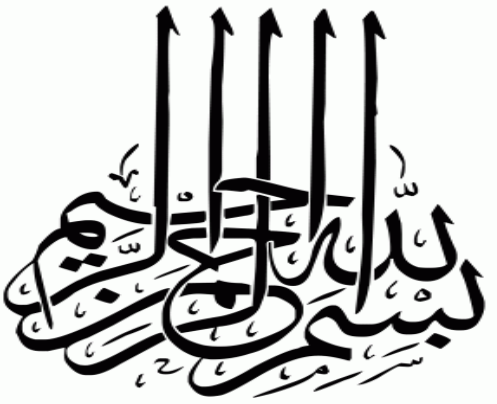

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الثانية ١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

مقدمة الشيخ

يحيى بن علي الحجوري

حفظه الله تعالى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله.

قرأت هذه الرسالة "الخطوات العملية في تربية البنات والبنين التربية السوية" لأخينا الداعي إلى الله المفيد خليل بن عبد الله الحمادي حفظه الله.

وهي رسالة مفيدة في بابها، نسأل الله أن يثيب كاتبها وينفع بها قارئها.

كتبه

يحيى بن علي الحجوري

في ذي القعدة ١٤٣٩هـ

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعدُ: فَهَذِه خُطُوَاتٌ عَمَلِيَّة، وَأُسُسٌ قَوِيَّة، وَضَعْنَاهَا منهجًا لِلتَّرْبِيَة السَّوِيَّة الَّتِي بِهَا يَنْشَأ الْأَوْلَادُ وَالْبَنَاتُ -بإذن الله تعالى- عَلَى تَرْبِيَة مَتِينة وعَلَى أَخْلاَقٍ فَاضِلَة، تَحَرَّيْنَا فِيهَا الاِخْتِصَارَ وَعَدَمَ التَّطْوِيلِ لِيَتَسَنَّى لِكَثِيرٍ مِنْ الْآبَاءِ قِرَاءَتُهَا، حَتَّى وَلَو كَانَ مَشْغُولًا فَلاَ تَأْخُذُ مِنْهُ إِلا وقتًا في قِرَاءَتِهَا وَتَصَفُّحِهَا.

ونسأل الله الإخلاص في القول والعمل، والحمد لله على توفيقه وإحسانه.

الخطوة الأولى

الاستقامة على دين الله

فإن استقامة الأب لها التأثير الظاهر على الأبناء بعد توفيق الله تعالى، وهذا الأمر لا يخفى على كل ذي عقل رشيد.

فالولد يتأثر بما يجد عليه أباه من الاستقامة أو من الفساد، وهذا أمر ملموس في حياتنا العملية إلا ما شذ من ذلك.

وانظر لما ذكره الله سبحانه وتعالى عن أقوام ضَلُّوا بِسَبَبِ مَا كَان عَلَيْه آبَاؤُهُم مِن الْفَسَاد، قَال اللَّه سُبْحَانَه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾ [سورة البقرة: ١٧٠].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤﴾ [سورة المائدة: ١٠٤].

وقال عز وجل: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سورة الأعراف: ٢٨].

وقال الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام وقومه: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: ٥١-٥٢].

وقال في سورة الشعراء: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [سورة الشعراء: ٦٩-٧٤].

وقال ربنا جل جلاله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة لقمان: ٢١].

وهذه حجة كثيرٍ ممن ضَلَّ عن صراط الله المستقيم، يتحجج بآبائه وما كانوا عليه قال الله سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الزخرف: ٢٣].

بل تركوا الهدي القويم ورضوا بالغواية والظلمات التي يتخبطون فيها، ولو كانوا يعلمون أنَّهم على ضلال مبين، قال الله: ﴿ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة الزخرف: ٢٤].

ولهذا تجد الواحدَ منهم يعلم بأنَّ رسولَ الله ﷺ وما جاء به هو الحق المبين ومع ذلك يخشى أن يُعيَّرَ بأنه ترك ما كان عليه أبوه، وانظر معي بصَّرك الله بالحق إلى هذه القصة العظيمة التي تُبيِّنُ لك صِدق ما نقول.

فهذا أبو طالب عمُّ رسول الله ﷺ الذي وقف مع النبي ﷺ وقفة عظيمة ودافع عنه دفاعًا شديدًا، وكان يَذُبُّ عنه ويدفع عنه الأذى من قريش.

"وكان رسول الله ﷺ أحب خلق الله إليه طبعًا، وكان يحنو عليه ويحسن إليه، ويدافع عنه ويحامى، ويخالف قومه في ذلك مع أنَّه على دينهم وعلى خلَّتهم، إلا أنَّ الله تعالى قد امتحن قلبه بحبه حبًا طبعيًا لا شرعيًا". (١)

ومِن حبه له دخل معه في حصار الشِعب الذي استمر ثلاث سنين، يأكل ما يأكلون ويجوع كما يجوعون، ودافع عن النبي ﷺ دفاعا مستميتًا، حتى أنزل الله سبحانه وتعالى فيه: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الأنعام:٢٦].

روى الحاكم في مستدركه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِ اللَّهِ تعالى ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾، قَالَ: "نَزَلَتْ فِي أَبِي طَالِبٍ كَانَ يَنْهَى الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَبَاعَدُ عَمَّا جَاءَ بِهِ". (٢)

وهو قول عمرو بن دينار، وعطاء بن دينار، والقاسم بن مخيمرة، أنَّ الآية نزلت فيه.

---

(١) السيرة لابن كثير (١/٤٦١)

(٢) (صحيح) رواه الحاكم من طريق رجاله ثقات وفيه انقطاع بين حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ وبين ابن عباس، فإن حبيبا يقول: إنه سمعه ممن سمعه من ابن عباس، والواسطة بينهما هو سعيد بن جبير كما في دلائل النبوة للبيهقي وغيره، فالأثر صحيح.

وجاء عن ابن عباس قول آخر وهو من مراسيل علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، فإن عليا هذا لم ير ابن عباس وفي سنده أيضا عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو ضعيف فيه لين، فالقول الآخر ضعيف عنه من هذا الطريق.

وثبت في الصحيحين عن العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رضي الله عنه، أنه قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: "مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ -في رواية لمسلم وَيَنْصُرُكَ - قَالَ: **"هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ"**".

ومن دفاعه عنه ما رواه الطبراني عن عُقَيْلِ بنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: "جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يُؤْذِينَا فِي نَادِينَا وَفِي مَجْلِسِنَا فَانْهَهُ عَنْ إِيذَائِنَا، فَقَالَ لِي: يَا عُقَيْلُ ائْتِ مُحَمَّدًا، فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ فَأَخْرَجْتُهُ مِنْ كِبْسٍ، قَالَ طَلْحَةُ: بَيْتٌ صَغِيرٌ، فَجَاءَ فِي الظُّهْرِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ فَجَعَلَ يَطْلُبُ الْفَيْءَ يَمْشِي فِيهِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الرَّمْضَاءِ، فَأَتَيْنَاهُمْ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: إِنَّ بني عَمِّكَ زَعَمُوا أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَفِي مَجْلِسِهِمْ، فَانْتَهِ عَنْ ذَلِكَ فَحَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: **"مَا تَرَوْنَ هَذَا الشَّمْسَ؟** "قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: **"مَا أَنَا بِأَقْدَرَ أَنْ أَدَعَ ذَلِكَ مِنكُمْ أَنْ تُشْعِلُوا مِنْهَا شُعْلَةً"**، قَالَ أَبُو طَالِبٍ: مَا كَذَبَنَا ابْنُ أَخِي قَطُّ فَارْجِعُوا". [الصحيحة (٩٢)]

ومما اشتهر من شعره واستفاض عنه أنه قال دفاعًا عن نبينا ﷺ:

والله لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِم ... حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا

فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ ... وَابْشِرْ وَقَرَّ بِذاكَ مِنْكَ عُيُونا

وَعَرَضْتَ دِينًا لاَ مَحَالَةَ أَنَّه ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ البريَّةِ دِينا

لَولا المَلاَمَةُ أو حَذَاري سُبَّة ... لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَاكَ مُبِيْنَا

فانظر إلى هذا الدفاع عن رسول الله ﷺ مع علمه بصدقه، ثم قارنه بما قاله وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة في آخر لحظات عمره مما يدل على تعصبه لآبائه.

فقد أخرج البخاري من طريق ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: **"يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ "**فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ **حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ".

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١/ ٩٧):

" السَّبَب الثَّامِن: تخيَّل أَنَّ فِي الإسلام ومتابعة الرَّسُول إزراءً وطعنًا مِنْهُ على آبَائِهِ وأجداده وذمًا لَهُم، وَهَذَا هُوَ الَّذِي منع أبا طَالب وأمثاله عَن الإسلام استعظموا آبَاءَهُم وأجدادهم أن يشْهدُوا عَلَيْهِم بالْكفْر والضلال وأن يختاروا خلاف مَا اخْتَار أولئك لأنفسهم، وَرَأَوا أنهم إن أسلموا سفَّهُوا أحلام أولئك وضلَّلُوا عُقُولهمْ ورموهم بأقبح القبائح، وَهُوَ الْكفْر والشرك وَلِهَذَا قَالَ أعداء الله لأبي طَالب عِنْد الْمَوْت ترغب عَن مِلَّة عبد الْمطلب فَكَانَ آخر مَا كَلمهمْ بِهِ هُوَ على مِلَّة عبد الْمطلب فَلم يَدْعُه أعداءُ الله إلا من هَذَا الْبَاب لعلمهم بتعظيمه أباه عبد الْمطلب وأنَّه إنما حَاز الْفَخر والشرف بِهِ، فَكيف يَأْتِي أمرًا يلْزم مِنْهُ غَايَة تنقيصه وذمه، وَلِهَذَا قَالَ: "لَوْلَا أن

تكون مسبَّة على بني عبد المْطلب لَأقررتُ بهَا عَيْنك"[١] أَوْ كَمَا قَالَ، وَهَذَا شعره يُصَرِّح فِيهِ بِأَنَّهُ قد علم وَتحقّق نبوة مُحَمَّدٍ ﷺ وَصدقَه كَقَوْلِه:

ولقد علمتُ بأنَّ دين محمد من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا

"انتهى كلامه رحمه الله

وهذا الحسن البصري يرى رجلاً ينقر صلاته نقرًا فقال: إنما أرثي لأبنائه لأنَّهم يقتدون به.

فهكذا تجد من كان أبوه فاسدًا؛ فإنَّ الولد قد يغتر به ويتعصَّب له، ويسيرُ بسيره إلا أن يتداركه الله برحمته فيوفقه للهداية.

حالهم كما قيل:

مشى الطاووسُ يوماً باعوجاجِ فقلدَ شكل مشيته بنوهُ
فقالَ: علامَ تختالونَ؟ قالوا: بدأت به ونحن مقلدوهُ
فخالف سيرَكَ المعوجَّ واعدل فإنا إن عدلت معدلوه
أما تدري أبانا كلُّ فرعٍ يجاري بالخُطى من أدبوه
وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوَّده أبوه

وقِفْ عند هذا الحديث الذي يدل على تأثر الولد بقول والده وطاعته له:

أخرج البخاري عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: "كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: **"أَسْلِمْ"**، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ

(١) جاء عند مسلم عن أبي هريرة بلفظ " **لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ، يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ**".

فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: **"الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ""**.

فانظر إلى ذلك الولد كيف نظر إلى أبيه وكأنَّه يستأذنه في الإسلام فأذِنَ له، فكيف لو أنَّ أباه لم يأذنْ له، وتابع الولد أباه فيما هو عليه من الضلال ومات على الكفر–والعياذ بالله–، فنسأل الله السلامة والعافية.

قال العلامة العثيمين في شرح رياض الصالحين (٤/ ٤٧٤):

"الأب قد يُؤْثِر ابنه في الخير وهو لا يفعله، فهذا اليهودي أشار على ابنه أن يطيع أبا القاسم ويسلم، ولكنه هو لم يسلم فالأب قد يحب لابنه الخير وهو محروم منه والعياذ بالله". اهـ

❐ وفي المقابل: انظر لمن كان أبوه مستقيمًا، على أي حال يكون أولاده.

هذا إبراهيم عليه السلام لما كان من خِيرَةِ خلق الله، انظر إلى ولده إسماعيل عليه السلام كيف كان بِرُّهُ بأبيه وكيف كانت طاعته لربه.

وتدبر هذه الآية تعرف أين بلغت منزلته في البر والطاعة لله، قال الله تعالى عن إبراهيم وولده إسماعيل: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢)﴾ [سورة الصافات: ١٠١-١٠٢].

فما أجمل هذا البر وأعظمه، يسوقه أبوه إلى الذبح وهو صابرٌ محتسبٌ طاعةً لله سبحانه وتعالى، فجمع بين بره لأبيه وطاعته لربه.

وعندما أراد إبراهيم عليه السلام بناء بيت الله عز وجل، كان إسماعيل عليه السلام خيرَ معين له على ذلك، قال الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [سورة البقرة:١٢٧].

وعند البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه: "ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ -أي إبراهيم عليه السلام -ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلاً لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الوَالِدُ بِالوَلَدِ وَالوَلَدُ بِالوَالِدِ، ثُمَّ قَالَ يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ، جَاءَ بِهَذَا الحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولاَنِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ قَالَ: فَجَعَلاَ يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ البَيْتِ وَهُمَا يَقُولاَنِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧]".

- وهذا يعقوب عليه السلام لما كان من خيرة خلق الله كان أولاده على خير حال فقد قال الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة البقرة:١٣٣]

فكانوا مُتَّبِعِينَ للدين الحق الذي كان عليه آباؤهم من قبل.

وقال سبحانه وتعالى مخبرًا عن يوسف الصديق عليه السلام أنه قال: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة يوسف:٣٧-٣٨].

بل حتى أولاده الذين حصل منهم ما حصل، من كيدٍ ليوسف وأخيه، وكانوا سببًا فيما حصل لأبيهم من ضرر، ومع ذلك فإنَّهم في آخر المطاف تابوا إلى الله عز وجل واستغفروه مما فعلوا، كل ذلك بسبب صلاح أبيهم وتقواه لله، قال الله سبحانه وتعالى عنهم ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [يوسف: ٩٧ – ٩٨]

ولهذا كان لابد أولًا لصلاح الأولاد، أن يسعى الأب في إصلاح نفسه.

فصلٌ:

وإنما قلنا: إنَّ هذه الخطوة هي الأولى وهي أهمُّ خطوةٍ بعد توفيق الله لأمور ومنها:

١. أنَّ الأب بطبيعة الحال يرى نفسه على أحسن الطريق وإن كان ضالًا مضلاً، ودائمًا ما يُحِبُّ أن يكون ولده على ما هو عليه، وإذا أردت ما يدل على ذلك فاستمع إلى ما أخبر الله به عن المشركين من قوم النبي ﷺ الذين كان يُصَبِّرُ بعضهم

بعضًا على ما هم عليه من الضلال، إذ يقول الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦﴾ [سورة ص:٦]

ولهذا لما دعا نوح على قومه قال: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ٢٧﴾ [سورة نوح:٢٧]

قال البغوي رحمه الله في تفسيره (٨/ ٢٣٤):

"قال ابن عباس، والكلبي ومقاتل: كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح فيقول: احذر هذا فإنَّه كذَّاب، وإنَّ أبي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير عليه ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ٢٧﴾". اهـ

فهكذا أكثر الآباء؛ وإن ضلوا عن الطريق المستقيم فتجده يُحِبُّ أن يكون ولده على ما كان عليه هو، ولو كان على غير الهدي المستقيم -إلا النزر اليسير-.

وتفكَّر في قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه تجد ذلك حقا.

فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: "حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَدِيثَهُ مِنْ فِيهِ قَالَ كُنْتُ رَجُلاً فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا جَيٌّ وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ قَرْيَتِهِ **وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ أَيْ مُلاَزِمَ النَّارِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ وَأَجْهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَطَنَ النَّارِ الَّذِي يُوقِدُهَا لَا يَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً** قَالَ وَكَانَتْ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ قَالَ فَشُغِلَ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا فَقَالَ لِي يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانِ هَذَا الْيَوْمَ

عَنْ ضَيْعَتِي فَاذْهَبْ فَاطَّلِعْهَا وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ قَالَ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَنِي صَلاَتُهُمْ وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ وَقُلْتُ هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا فَقُلْتُ لَهُمْ أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ قَالُوا بِالشَّامِ قَالَ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي وَشَغَلَتْهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ قَالَ فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ أَيْ بُنَيَّ أَيْنَ كُنْتَ أَلَمْ أَكُنْ عَهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهِدْتُ قَالَ قُلْتُ يَا أَبَتِ مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ فَوَاللَّهِ مَازِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ **قَالَ: أَيْ بُنَيَّ لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: كَلاَّ وَاللَّهِ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ دِينِنَا قَالَ فَخَافَنِي فَجَعَلَ فِي رِجْلَيَّ قَيْدًا ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ** قَالَ وَبَعَثْتُ إِلَيَّ النَّصَارَى فَقُلْتُ لَهُمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنْ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنْ النَّصَارَى فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ قَالَ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنْ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنْ النَّصَارَى قَالَ فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ قَالَ فَقُلْتُ لَهُمْ إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلاَدِهِمْ فَآذِنُونِي بِهِمْ قَالَ فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلاَدِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلَيَّ ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ فَلَمَّا قَدِمْتُهَا قُلْتُ مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ... " [١] الحديث

---

[١] القصة طويلة أوردنا الشاهد منها مما نريده في هذا الموطن فمن أراد القصة فليراجعها في موطنها، والحديث صححه الألباني في الصحيحة برقم (٨٩٤)

والشاهد من الحديث أنَّ أباه يريده أنْ يبقى على دين المجوسية، ولا يريده أن يفارق دين المجوسية إلى دين آخر.

وفي قصة سعد بن أبي وقاص مع أمه ما يغني عن مزيد الكلام.

فعن سعدٍ رضي الله عنه قَالَ: "قالت أمُ سعد: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ اللهُ بِبِرِّ الْوَالِدَةِ؟ فَوَاللهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى تَكْفُرَ أَوْ أَمُوتَ. فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُطْعِمُوهَا أَوْ يَسْقُوهَا شَجَرُوا فَاهَا بِعَصًا، ثُمَّ أَوْجَرُوهَا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى﴾ [سورة العنكبوت:٨]". [رواه مسلم والبيهقي والترمذي وغيرهم واللفظ للبيهقي]

٢. أنَّ الأب إنْ كان ضالًا وأراد أن يكون أولاده على الطريق القويم فإنَّه يَتْعَبُ في ذلك؛ لأنهم يرونه قدوة لهم فلا يسمعون كلامه ولو كان مشفقًا عليهم، لسان حالهم يقول: "**لو كان خيرًا لسبقتمونا إليه**".

٣. أنَّ الأبَ إن كان صالحًا يصْلُحُ بصلاحه أولاده، حتى ولو ضلَّ بعضُهم كان البعض الآخر على خير حال، وهذا أمر مشاهد لا يحتاج إلى تدليل.

فإنَّه يصفو له الكثير من أولاده على الخير والهدى والطريق المستقيم، وهذا من مِنَّة الله على عبده الصالح أن يجعل من ذريته من تقرُّ به عينه.

كما ذكر ربنا سبحانه وتعالى في قصة الخضر الذي قتل ذلك الغلام، قال الله عنه: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ [سورة الكهف: ٨٠-٨١].

«أي أن يبدلهما الله بولد خير من الغلام الذي قتله صلاحا ودينا، وأن يكون أقرب رحمة بوالديه وأبرّ بهما من المقتول». (١)

وقد ذكر بعض المفسرين أنَّ الله رزقهما بنتًا صالحة؛ كانت أبر بوالديها، وهي مسلمة، وقيل: إنَّه تزوجها نبي، والله أعلم.

الشاهد من الآية أنَّ الله أبدلهما بخيرٍ من ذلك الغلام الكافر، وهذا من رحمة الله بمن كان مستقيمًا على دين الله، فإنَّ الله يجعل له من ذريته من تقرُّ به عينه، إجابةً لدعائهم الذي كانوا يدعون فيقولون ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [سورة الفرقان: ٧٤].

بل ولو انحرف جميعُ أبنائِه؛ فلا يكون عليه بذلك وزرٌ، فإنه يكون قد بذل ما في وسعه لصلاحهم، ولا حجة لهم بين يدي الله تعالى.

وأما مَنْ فرَّط في الاستقامة؛ فإنَّه حَرَمَ نفسه الانتفاع بولده وبخيره، وكان هذا من عقوبة الله له جزاءً وفاقًا.

ورَحِمَ الله ابن القيم إذ يقول في تحفة المودود (٢٤٣/١):

"فكم من والد حرم ولده خير الدنيا والآخرة وعرَّضه لهلاك الدنيا والآخرة، وكل عواقب تفريط الآباء في حقوق الله وإضاعتهم لها إعراضهم عما أوجب الله عليهم من العلم النافع والعمل الصالح، حرمهم الانتفاع بأولادهم وحرم الأولاد خيرهم ونفعهم لهم، هو من عقوبة الآباء". اهـ

(١) قاله ابن جرير الطبري

الخطوة الثانية

اختيار الزوجة الصالحة

وهذه هي اللَّبِنَةُ الثانية بعد اللبنة الأولى والركيزة الأساسية في صلاح الأولاد.

فالأب يمثل الدعامة الأولى للأولاد، فإذا صلح جاء دور الدعامة الثانية التي بصلاحها يكون البيت صالحًا وبفسادها يَفسُد من شاء الله من أهل البيت، أو يتداركهم الله برحمة منه وفضل، وقد أحسن من قال:

والبيتُ لا يُبتنى إلاَّ على عمدٍ ولا عماد إذا لم ترسُ أوتادُ
فإن تجمَّعَ أوتادٌ وأعمدةٌ وساكنٌ بلغوا الأمرَ الذي كادوا

فالأب والأم أعمدة البيت وأوتادها؛ فإذا صلحا صلح من كان معهم.

ولعلك تطلب شاهدًا واقعيًا على هذا الأمر، وهذا من حقك ليطمئن قلبك بما نقول.

فتعال لنقف وقفة تأملٍ وتدبرٍ مع ما ذكره ربنا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم في قصة عظيمة، تنساب معانيها لتُتَرجِمَ واقعًا أليمًا لفساد بعض الأولاد، الذي قد يكون دخل عليهم الفساد بسبب فساد أحد ركني البيت وهو الأم، فيقول ربنا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة هود: ٤٢-٤٣].

يا ألله على هذا المشهد الأليم، فهذا نبيٌ من أنبياء الله، وأبٌ حنونٌ مشفقٌ في نفس الوقت، فاجتمعت شفقة الأب ورحمته مع شفقة النبي ورحمته فنادى بصوت عظيم ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، فظن ذلك المغرور أنه ينجو مما قد أراده الله فقال: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾، أي لا حاجة لي بركوب سفينتك ولا بما أنت عليه، والجبل كافيني وعاصمني مما تخوفني به من الماء، وظن هذا المسكين أنَّ هذا الماء كسائر المياه التي لا تبلغ أعالي الجبال، وأنَّ هذا اليوم كسائر الأيام، فقال له نبي الله نوح عليه السلام: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾، أي: "لا مانع اليوم من أمر الله الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك، إلا من رحمنا فأنقذنا منه، فإنَّه الذي يمنع من شاء من خلقه ويعصم"(١).

وانتهى هذا الحوار الحزين، وذهب ذلك الولد هو وأمه في غياهب الكفر والضلال ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾، وكان أمر الله قدرا مقدورًا.

قال الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان (٢/ ١٨٣):

«قوله تعالى ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾ [سورة هود: ٤٠]. ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنَّه أمر نوحًا أن يحمل في السفينة أهله إلا من سبق عليه القول، أي سبق عليه من الله القول بأنه شقي، وأنَّه هالك مع الكافرين.

(١) قاله ابن جرير الطبري

ولم يبين هنا من سبق عليه القول منهم، ولكنه بين بعد هذا أنَّ الذي سبق عليه القول من أهله هو ابنه وامرأته". اهـ

والأمر أمر الله والتوفيق من الله، وهذه الأم من جملة الأسباب التي يجعلها الله سبحانه وتعالى سببًا للتأثير في الذرية سِلبًا أو إيجابًا، صلاحًا أو فسادًا.

ولهذا كانت هذه الأمُ مسئولةً بين يدي ربها عنهم، ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما: " **وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ** "

قال العلامة العباد:

"يعني: مسئولة عن قيامها بما هو واجب عليها في البيت من تدبير أمور البيت على الوجه المشروع، ومن رعاية الأولاد وتربيتهم وتنشئتهم، والإحسان إليهم، فهي مسئولة عن ذلك، ومسئولة عن رعيتها يوم القيامة". اهـ

فلولا أنَّ لها يدًا في صلاحهم وفسادهم ما سُئِلت عنهم، فتفطن لهذا.

وقد قال ابن القيم رحمه الله في تحفة المودود:

"وأكثر الأولاد إنَّما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوهم صغارًا فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كبارًا". اهـ

قلت: هذا في إهمالهم، فكيف لو فسد أحدُ الوالدين، بل كيف لو فسد أكثرهم ملازمة له وهي الأم، فإنَّ الأب بطبيعة الحال مشغولٌ في أعماله التي يستجلب بها قوت الأولاد؛ فيتركهم أكثر الأوقات، وفي هذا الزمان أصبح أكثر الآباء يسافر

السنوات الطويلة للعمل ولا يرجع الأب إلا بضعة أسابيع يجلسها معهم ثم يرجع مرة أخرى للعمل.

فإن فسدت الأم وانشغلت عن مهمتها الأساسية التي شرفها بها خالقها ومولاها، وهي تربية الأجيال الإسلامية وصناعة الأبطال، تاه الأبناء وأصبحوا ضائعين مهزوزين تتخطفهم أمواج متلاطمة ذات اليمين وذات الشمال.

فكان ينبغي الاعتناء بهذا الركن القويم من أركان البيت وهي المرأة الصالحة.

قال العلَّامة بكر أبو زيد في كتابه الماتع حراسة الفضيلة (صـ ٨٤):

"ومنه إذا كانت الأم غير محتجبة ولا محتشمة، وإذا كانت خرَّاجة ولَّاجة، وإذا كانت متبرجة سافرة أو حاسرة، وإذا كانت تغشى مجتمعات الرجال الأجانب عنها، وما إلى ذلك، فهي تربية فعلية للبنت على الانحراف، وصرف لها عن التربية الصالحة ومقتضياتها القويمة من التحجب والاحتشام والعفاف والحياء، وهذا ما يسمى: التعليم الفطري.

... ومنه يُعلَمُ ما للخادمة والمربية في البيت من أثر كبير على الأطفال سلبًا أو إيجابًا.

... ولهذا قرر العلماء أنَّه لا حضانة لكافر ولا لفاسق، لخطر تلك المحاضن على الأولاد في إسلامهم وأخلاقهم واستقامتهم". اهـ

قلت: فكم نجد الآن من فسادٍ حاصلٍ في أوساط البنات خاصة، في لبسهنَّ وسلوكهنَّ وقلة حيائهنَّ، ولو نظرنا وأمعنَّا النظر لوجدنا أنَّ هذه البنت إنَّما هي

تحكي حال أمها، التي هي قدوتُها، ومحل تربيتها، وعنوان فسادها، سواء كان ذلك عن طريق الأخذ عن أمها التي نشَّأتها على هذا الحال من التفسخ وقلة الحياء، أو بسبب إهمال الأمِ لهذه البنت وعدم الاعتناء بتربيتها التربية الصالحة، وأحلى الأمرين مرٌّ.

وفي المقابل:

انظر لنساءٍ صلَحَت؛ فأصلح الله أحوال أولادهنَّ، وكانوا من خيرة خلق الله، ومنهم امرأة عمران التي وهبت ما في بطنها لله فاصطفى الله منهم وجعلها ذرية مباركة، قال الله عنها: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة آل عمران: ٣٥-٣٧].

وكذا مريم بنت عمران التي اصطفى الله منها نبيًا من أنبيائه وهو عيسى بن مريم، قال الله عنها: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٩١].

وهاجر امرأة إبراهيم عليه السلام، التي تربى وترعرع ولدها إسماعيل عليه السلام على يديها.

وكذا أئِمة كُثر في هذه الأمة المحمدية، اعتنت بهم أمهاتهم الصالحات إلى أن وصلوا إلى مرتبة عالية من الدين -بحول الله وبقوته-.

وهذا «سفيان الثوري: وما أدراك ما سفيان الثوري ؟!.

إنَّه فقيه العرب ومحدثهم، وأحد أصحاب المذاهب الستة المتبوعة، إنَّه أمير المؤمنين في الحديث الذي قال فيه زائدة: "الثوري سيد المسلمين" ، وقال الأوزاعي: "ولم يبق من تجتمع عليه الأمة بالرضا إلا سفيان" ، وما كان ذلك الإمام الجليل، والعَلَم الشامخ، إلا ثمرة أم صالحة، حفظ التاريخ لنا مآثرها، وفضائلها، ومكانتها، وإن كان ضَن[1] علينا باسمها.

روى الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله بسنده عن وكيع قال:

(قالت أم سفيان لسفيان: **" يا بني! اطلب العلم، وأنا أكفيك بمغزلي"**، فكانت - رحمها الله -تعمل، وتقدم له، ليتفرغ للعلم، وكانت تتخوله بالموعظة والنصيحة، قالت له ذات مرة- فيما يرويه الإمام أحمد أيضا -: **" يا بني إذا كتبت عشرة أحرف، فانظر: هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك، فإن لم تر ذلك، فاعلم أنها تضرك، ولا تنفعك** ".

فهل من غرابة بعد هذا أن نرى سفيان يتبوأ منصب الإمامة في الدين، كيف وهو قد ترعرع في كنف مثل هذه الأم الرحيمة، وتغذي بلبان تلك الأم الناصحة التقية؟!

---

(١) أي لم يُعلم اسمها، ومعنى ضنَّ أي: بخِل، والمقصود لم يعرف اسمها، ولكنَّ ذلك لا يضرها فربما يعرفها، وكفى به عليمًا، قال الله سبحانه: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾.

وكذا «إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله:

قال مطرف: قال مالك: قلت لأمي: " أَذْهَبُ، فأكتب العلم؟ "، فقالت: " تعال، فالبس ثياب العلم "، فألبستني مسمرة، ووضعت الطويلة على رأسي، وعممتني فوقها، ثم قالت: " اذهب، فاكتب الآن "، وكانت تقول: " اذهب إلى ربيعة، فتعلَّمْ من أدبه قبل علمه ".

ثم إذا نشرنا صفحة العهد العباسي، بل صفحة العهد الإسلامي لا نجد في تضاعيفها امْرَءًا دنت له قطوف العلم والحكمة، ودانت له نواصي البلاغة والفصاحة **كمحمد بن إدريس الشافعي** فهو الشهاب الثاقب الذي انتظم حواشي الأرض، فملأ أقطارها علما وفقهًا، ذلك أيضًا ثمرة الأم العظيمة.

فقد مات أبوه وهو جنين أو رضيع، فتولته أمه بعنايتها، وأشرقت عليه بحكمتها، وكانت امرأة من فضليات عقائل الأزد، وهي التي تنقلت به من " غزة " مهبطه إلى " مكة " مستقر أخواله، فربته بينهم هنالك.

وكانت أم الشافعي رحمها الله - باتفاق النقلة- من العابدات القانتات، ومن أزكى الخلق فطرة، ومن طريف ما يحكى عنها من الحذق والذكاء: أنَّها شهدت عند قاضي مكة هي وأخرى مع رجل، فأراد أن يفرق بين المرأتين، فقالت له أم الشافعي: " ليس لك ذلك، لأنَّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [سورة البقرة:٢٨٢]، فرجع القاضي لها في ذلك).

ومنهم ربيعة الرأي [١] والأوزاعي، وغيرهم كثير ممن حرصت أمهاتهم أن يتعلم أولادهنَّ العلم النافع، فصاروا بعد ذلك أئمة هدى يستنير الناس بعلمهم، وليرجع من أراد الاستزادة إلى سيرهم وتراجمهم.

ولأجل هذا وغيره أوصى النبي ﷺ بالحرص على الزواج من المرأة الصالحة وإن قلَّ جمالها.

فقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " **تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ** ".

ولمسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: " **الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ** ".

قال المناوي رحمه الله في فيض القدير (٣/ ٢٧٠):

""**فاظفر بذات الدين** "أي اخترها وقربها من بين سائر النساء، ولا تنظر إلى غير ذلك "**تربت يداك** "افتقرتا أو لصقتا بالتراب من شدة الفقر إن لم تفعل، قال القاضي: عادة الناس أن يرغبوا في النساء ويختاروها لإحدى أربع خصال عدها، واللآئق بذوي المروءات وأرباب الديانات أن يكون الدين مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون، سيما فيما يدوم أمره، ويعظم خطره، فلذلك حث المصطفى ﷺ بآكد وجه وأبلغه فأمر

(١) ربيعه بن فروخ التيمي المدني أبو عثمان إمام حافظ فقيه مجتهد لقب بربيعة الرأي لأنه كان بصيرا بالرأي والقياس كان صاحب الفتوى بالمدينة وتفقه عليه مالك. (الأعلام)

بالظفر بذات الدين الذي هو غاية البغية ومنتهى الاختيار والطلب الدال على تضمن المطلوب لنعمة عظيمة وفائدة جليلة". اهـ

وينشأ عن هذا الصلاح والاستقامة في الآباء دوام الاستقامة في النسل، لأنَّ النسل مُنْسَلٌ من ذوات الأصول فهو ينقل ما فيها من الأحوال الخلقية والخُلُقية، ولما كان النسل منسَلاً من الذكر والأنثى كان بحكم الطبع محصِّلاً على مجموع من الحالتين فإن استوت الحالتان أو تقاربتا جاء النسل على أحوال مساويةِ المظاهرِ لأحوال سلفه، قال نوح عليه السلام في عكسه ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧﴾ [نوح: ٢٧].

ويؤيد هذا أنَّه لما كان الصلاح في أول الخلق من آدم وزوجته وفُطِروا عليه؛ عاشت عشرة قرون كلها على التوحيد[١] لم يصبها الفساد في المعتقد، إلا ما كان من حظوظ النفس الطارئة كحسد أحد ابني آدم لأخيه ومثل ذلك.

- **فصـــــلٌ:**

وإن كان هذا الأمر ليس على إطلاقه بأنَّه إذا صلح الوالدان صلح الأولاد وإذا فسد الوالدان فسد الأولاد؛ وإنَّما هذا من أعظم الأسباب المعينة على ذلك، ولله الحكمة البالغة في مثل هذه الأمور فهو المطلع على بواطن الأمور وخباياها وأسرار النفوس ونواياها فيفعل ما يشاء سبحانه: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١٩﴾ [سورة الروم:١٩]

(١) كما ثبت ذلك عن ابن عباس فيما رواه ابن جرير الطبري بسند صحيح.

أي يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن، وخير شاهد على أنَّ هذا الأمر ليس على إطلاقه قول الله سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الكهف: ٨٠]

فكان الأبوان مؤمنين والولد كافرًا.

فقد يقول قائل كيف يكون هذا؛ والأسباب قد تهيأت لصلاحهم في صلاح الوالدين؟

فأقول وبالله التوفيق: ما هذا -والله أعلم-إلا للأمور الأخرى التي هي أيضًا من جملة الأسباب التي قدَّرها الله كونًا، والتي لها أيضًا تأثيرٌ في فساد حال المرء.

كالحسد الذي أهلك إبليس، وجعل أحد ابني آدم يقتل أخاه.

وكذا **للشهوات** التأثير البالغ في مثل هذا الفساد.

وإبليس من جانب آخر بإغوائه وتزيينه للناس الباطل، **وجلساء السوء** وغيرها من الأسباب.

فإذا سَلِمَ الولد من جانب والديه بصلاحهما، كان قد سلم من شرٍ عظيمٍ يدخل عليه من أوسع الأبواب، وبقي أن يُسَلِّمَه الله من بقية الأمور التي تعصف بالقلوب، والتي أيضًا لا ينبغي للعبد أن يُهمِل الأسباب التي تُحصِّنُه منها، والله عز وجل يقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الأنفال: ٥٣]

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [سورة الرعد: ١١]

ويقول سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [سورة التوبة:١١٥]

قال القرطبي رحمه الله في الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٧٧):

"قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾، أي ما كان الله ليوقع الضلالة في قلوبهم بعد الهدى حتى يبين لهم ما يتقون، فلا يتقوه فعند ذلك يستحقون الإضلال.

قلت: ففي هذا أدل دليل على أنَّ المعاصي إذا ارتكب وانتهك حجابها كانت سببًا إلى الضلالة والردى وسلمًا إلى ترك الرشاد والهدى. نسأل الله السداد والتوفيق والرشاد بمنه". اهـ

والموفق من فقه معنى هذه الآيات حتى لا يظن بربه سوءًا.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله في العقيدة الطحاوية:

"يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلًا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلًا"

قال العلامة الفوزان في التعليقات على الطحاوية (صـ ٥٢): "الله سبحانه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وهذا بقضاء الله وقدره، ولكنه يهدي من يعلم أنه يصلح للهداية، ويهدي من يحرص على طلب الهداية ويُقبل عليها، فإنَّ الله ييسره لليسرى، ويضل من يشاء بسبب إعراضه عن طلب الهداية والخير، فيضله

الله عقوبة له على إعراضه وعدم رغبته في الخير، يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [سورة الليل:٥-٧].

فصار السبب من العبد، والقدر من جهة الله سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [سورة الليل:٨-١٠].

فصار السبب من العبد والقدر من الله عز وجل، ولكن قدره الله عقوبة له.

فقدر الله الهداية فضلاً من الله عز وجل، وتكرم على الشخص الذي يريد الخير ويريد الهداية، فييسره الله للخير ولفعله، وهذا لمصلحته، لا مصلحة لله عز وجل، وأما إضلال الضالين فعدل منه سبحانه وتعالى، جزاءً لهم على إعراضهم وعدم إقبالهم على الخير وعلى طاعة الله عز وجل، لم يظلمهم شيئًا، ولهذا نجد في الآيات: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٢٥٨﴾ [سورة البقرة:٢٥٨]، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝٢٦٤﴾ [سورة البقرة:٢٦٤]، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝١٠٨﴾ [سورة المائدة:١٠٨]، فجعل الظلم، والكفر، والفسق، أسباب لعدم الهداية، وهذه من أفعال العباد جازاهم عليها، عدلًا منه سبحانه وتعالى لا ظلمًا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٣٣﴾ [سورة النحل:٣٣]، فلا يليق به سبحانه أن يكرم من هذا وصفه وأيضًا لا يليق به سبحانه وتعالى أن يُضيع عمل العاملين، قال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٢١ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ

وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [سورة الجاثية:٢١-٢٢]، ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة القلم:٣٥-٣٦]، هذا جور ينزه الله عنه، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة ص:٢٨]". اهـ

فقف على هذا الكلام وحاول أن تتفهمه حتى لا تتشكك فيما أوصيناك به في هذه الخطوة من العمل بالأسباب والزواج بالمرأة الصالحة، ليصلح الأولاد لأنك إن لم تفهمه فستدخل في بحر قولك: [**مادام أنَّ الهداية بيد الله فما أبالي أن تكون الزوجة صالحة أو طالحة**] وهذا بحرٌ لا ساحل له لمن لم يوفقه الله لمعرفة الحِكم الإلهية.

والموفق من وفقه الله.

ولتفهم حفظك الله ما نقول انظر إلى هذا الحديث نظر المتدبر له، ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: "**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**"

فإن كانت هذه المرأة قد تذهب بعقل الرجل؛ فتطغيه وتهلكه وتذهب بدينه، فكيف يكون تأثيرها في الأولاد.

وكلما تذكرت هذا الحديث؛ دار في رأسي قصة عمران بن حطان الذي كان من أعيان العلماء -كما وصفه الذهبي في السير-ولكنه وقع في حبال امرأة كانت ترى رأي الخوارج فأراد أن يتزوجها فقيل له إنَّها خارجية فقال: أردها عن ذلك، فتزوجها

فصرفته وأخذته إلى ما كان من رأي الخوارج فصار خارجيًا جلدًا حتى أنَّه مدح قاتل عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في شعرٍ له فقال:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره حينا فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

فنعوذ بالله من الخذلان.

وإني لأعرف رجالًا كانوا على خير حال في شبابهم، فلما تزوجوا تغيَّرت أحوالهم، فكم من رجل ترك الصلاة بسبب زوجته، وكم من رجل ترك طريق الاستقامة بسببها، بل وصل ببعضهم الحال أن أصابه الجنون بسبب زوجته.

فتخيل يا عبد الله.

كيف يكون حال أولادك إذا ابتلاهم الله بأمٍ همها الدنيا، أو عندها فساد في المعتقد، أو سيئة الأخلاق.

فلا شك ولا ريب أنَّ من كان الزوج يتأثر بها بشدة، كان تأثيرها على الأولاد أشد.

وبالذات البنات فإنها تتأثر بالأم تأثُّرًا كبيرًا وتتخذها قدوة وأسوة لها.

والله المستعان.

الخطوة الثالثة

عدم المنكرات في العُرْس

فإنَّه إنْ تهيأَ لك طريق الصلاح، ويسَّر الله لك زوجةً صالحةً؛ فتَجَنَّب المنكرات في العرس، فإنَّ العرس والزواج من أعظم النعم التي امتنَّ الله بها عليك فلا تبتدئْها وتشُبْها بالمعاصي والذنوب، فإنَّ لها تأثيرًا يدوم مداه وقد يَصِل تأثيره إلى الأولاد والذرية، فإنَّ الذنب قد لا يجد الإنسانُ مغبَّتَه في حينه، ولكنه يجده بعد حين، وقد يبتليه الله بفساد أولاده بسبب ذنوبه ومعاصيه التي أهملها ولم يتداركها بتوبة صادقة.

قال الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِنِّي لأَعْصِي اللَّهَ فَأَعْرِفُ ذَلِكَ فِي خُلُقِ حِمَارِي وَخَادِمِي "(١)

فإن كان الواحد منا يجد أثر الذنب والمعصية في زوجته؛ التي تزوجها من ذرية قوم آخرين، وفي بهيمة عجماء، فكيف لا يجد أثرها في أولاده وذريته التي من صلبه.

ولا يَقُلْ أحدنا: ما علاقة هذا بهذا، بل له فيه ارتباط شديد، فإنَّ الله ربط الأشياء بأسبابها التي تقود إليها، وقِف عند هذه الآية تفهم ما نقول.

قال الله سبحانه ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الشورى: ٣٠].

---

(١) حلية الأولياء (١١٨٠٥).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الداء والدواء:

"ومن عقوبات الذنوب: أنها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب، كما قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة" وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٥٣]، فأخبر الله تعالى أنَّه لا يغير نعمه التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه فيغير طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه، فإذا غيَّرَ؛ غُيِّر عليه جزاءً وفاقًا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، فإن غير المعصية بالطاعة غير الله عليه العقوبة بالعافية والذل بالعز، وقال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [سورة الرعد: ١١]". اهـ

وعند الطبراني من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا اخْتَلَجَ عِرْقٌ وَلاَ عَيْنٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَمَا يَدْفَعُ اللهُ عَنْهُ أَكْثَرُ[1]" [الصحيحة (٢٢١٥)]

---

[1] اختلج: أي تحرك واضطرب وأصابه شيء.

فصلٌ:

وقد يتأخر أثرُ الذنب وعقوبته، فلا يجد صاحب المعاصي أثر الذنب في الحال، فيقول ما رأيت من شيء أصابني بسبب ذنوبي.

وهذا كثير في أهل المنكرات وبالذات الذين لم يتوبوا منها، فإنَّك تجدُ أحدَهم قد أكثر من المعاصي والمنكرات في عُرْسِه، من الأغاني، ورفع مكبرات الصوت، وبالتصوير، وضرب الطبول، وغيرها من المنكرات التي لا يتسع المجال لذكرها[١]، ثم يغتر في أول حياته بإمهال الله له، ويرى أنَّه لم تصبه غائلةُ ذنوبه[٢]، **فيقول**: كَذَبَ أولئك الذين قالوا: إنني بسبب هذه الذنوب قد يصيبني الشقاء، وأنا لا أجد هذا الآن، فيغتر بحلم الله عليه، ويستعجل وقوع البلاء به والشقاء عليه.

وما يدري هذا المسكين أنَّه قد تتأخر عقوبة الذنب لأمر أراده الله.

وما أجمل ما قاله ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الداء والدواء (١/ ١٣٠) إذ يقول:

"وها هنا نكتةٌ دقيقةٌ يغلط فيها الناس في أمر الذنب، وهي أنَّهم لا يرون تأثيرَه في الحال، وقد يتأخّر تأثيره فيُنسَى، ويظنّ العبد أنَّه لا يغبِّر[٣] بعد ذلك، وأنّ الأمر كما قال القائل:

---

(١) ولنا كتاب في منكرات الأعراس اسمه (**رفع الالتباس عن منكرات الأعراس**) فليرجع إليه من أراد معرفة المنكرات الحاصلة في الأعراس ليجتنبها، ولله وحده الفضل والمنة في كل ما وفقنا إليه من كتابة أو قول أو عمل، فله الحمد كله سبحانه على ما أنعم به وتفضل، ونسأله مزيد فضله وأن يرزقنا الإخلاص وأن يبارك فيما نقول ونعمل.

(٢) الغوائل: الدواهي والعظائم

(٣) أي لا يصيبه غبار ذنبه وأثره

إذا لم يغبِّرْ حائطٌ في وقوعه فليس له بعد الوقوع غبارُ

وسبحان الله! ماذا أهلكت هذه البليّة من الخلق! وكم أزالت من نعمة! وكم جلبت من نقمة!

وما أكثر المغترِّين بها من العلماء، فضلاً عن الجهال! ولم يعلم المغترّ أنَّ الذنب ينقُض، ولو بعد حين، كما ينقُض السمُّ، وكما ينقُض الجرح المندمل على الغِشّ والدَّغَل.

ونظر بعض العُبَّاد إلى صبيّ، فتأمل محاسنَه، فأُتيَ في منامه، وقيل له: لَتجِدَنَّ غِبَّها بعد أربعين سنة". اهـ

قلت: وقد أحسن من قال:

يا صَـــاحِبَ الذَّنْبِ لَا تَأْمَنْ عَوَاقِبَهِ عَوَاقِبُ الذَّنْبِ تُخْشَـــى وَهْيَ تُنْتَظَرُ
فَكُلُ نَفْس سَـتُجْزَى بِالَّذِي كَسَبَتْ وَلَيْسَ لِلْخَلْقِ مِنْ دَيَّانِهِمْ وَزَرُ

فصلٌ: في بعض آثار منكرات الأعراس على العروسين:

١) بعضهم يصاب بالمس أو السحر أو العين

وما ذاك إلا بسبب تسلط الشيطان على العروس أو على زوجِهِ يومَ العرس، بسبب كثرة المنكرات التي تحضر معها الشياطين، ومن أعظمها الأغاني التي هي مزامير الشيطان، فيجد عندها بعضُ الجن الفرصةَ سانحةً للتسلط على الزوج أو على عروسه، وتسلطهم على النساء أكثر، لقلة ذكرهن لله في ذلك اليوم بالذات.

ولقد جاءتني حالاتٌ كثيرة تشتكي من المس أو السحر وأكثرها في الزوجة، وعند التقصي نجد أنهم ابتعدوا عن الله يوم العرس بترك الصلاة والعبادة مع كثرة المنكرات في عرسهم مما تسلط عليهم الجن.

قال ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ٦٠):

"وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله تكون من جهة قلة دينهم وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر والتعاويذ والتحصُّنات النبوية والإيمانية فتلقى الروحُ الخبيثةُ الرجلَ أعزل لا سلاح معه وربما كان عريانًا فيؤثر فيه هذا". اهـ

٢) عدم التمكن من الدخول بالزوجة

وهذا أيضًا يعود سببه لكثرة المنكرات، وقلة الذكر وترك التحصن بالأذكار، مما تسلط به الجن على الزوج فحالوا بينه وبين جماع زوجته، فيمكث أيامًا وبعضهم أسابيع وبعضهم أشهر لا يستطيع أن يطأ مرأته وأن يجامعها، وهذا أيضًا من تسلط الجن بطريق أخرى حتى يصاب بعضهم بالجنون أو الحالة النفسية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد يلجأ بعضهم إلى التداوي عند السحرة والمشعوذين، فيزيد بذلك الطين بلة، ويزيد إلى ذنبه الأول من المنكرات، ذنبًا آخر أعظم من سالفِهِ، والله المستعان.

٣) تأخُّر الإنجاب

فإنَّ الولدَ رزقٌ وقد يتأخر هذا الرزق بسبب الذنوب والمنكرات التي وقع فيها الأبوان يوم عرسهما، ويدل على ذلك ما ثبت عند الطبراني في الدعاء من حديث

ثَوْبَانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"لا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلا الدُّعَاءُ، وَلا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلا الْبِرُّ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِذَنْبٍ يُذْنِبُهُ"**. (١)

٤) فساد الولد وعقوقه لأبويه

وما ذاك إلا بسبب ما جنته يد الأبوين من المعاصي وانتهاك المحرمات ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الشورى: ٣٠]

ولهذا أمر الله الوالدين بتقواه إن أرادوا صلاح أولادهم وخافوا عليهم بعد موتهم من الضياع، قال الله سبحانه: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [سورة النساء: ٩].

قال ابن حجر الهيتمي في الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٢٧):

«فَالْقِصَاصُ إنْ لَمْ يَكُنْ فِيك أُخِذَ مِنْ ذُرِّيَّتِك ، وَلِذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿خَافُواْ عَلَيْهِمْ﴾ فَإِنْ كَانَ لَك خَوْفٌ عَلَى صِغَارِك وَأَوْلَادِك الْمَحَاوِيجِ الْمَسَاكِينِ فَاتَّقِ اللَّهَ فِي أَعْمَالِك كُلِّهَا لَا سِيَّمَا فِي أَوْلَادِ غَيْرِك ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحْفَظُك فِي ذُرِّيَّتِك وَيُيَسِّرُ لَهُمْ مِنْ الْحِفْظِ وَالْخَيْرِ وَالتَّوْفِيقِ بِبَرَكَةِ تَقْوَاك مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُك بَعْدَ مَوْتِك وَيَنْشَرِحُ بِهِ صَدْرُك ، وَأَمَّا إذَا لَمْ تَتَّقِ

(١) (**حسن**) رواه ابن ماجه وأحمد وغيره من طرق عن سفيان الثوري عن عبد الله بن عيسى عن ابن أبي الجعد عن ثوبان مرفوعا به. وقد ضعفه الألباني من هذه الطريق بابن أبي الجعد، وله طريق أخرى عند الطبراني في الدعاء عن سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي الأَشْعَثِ الصَّنْعَانِيِّ، عَنْ ثَوْبَانَ به، ويحيى بن الحارث هو الغساني ثقة، وأبو الأشعث هو شراحيل بن آده الصنعاني ثقة روى له مسلم إلا أن فيه فضيلا بن محمد الملطي فيه جهالة لكنه يعتضد بالطريق الأولى إلى الحسن إن شاء الله، ولم أر العلامة الألباني رحمه الله تعرض للطريق التي عند الطبراني في الدعاء ولعله ذُهل عنها رحمه الله.

اللَّهَ فِي أَوْلَادِ النَّاسِ وَلَا فِي حُرُمِهِمْ ، فَاعْلَمْ أَنَّك مُؤَاخَذٌ فِي ذَلِكَ بِنَفْسِك وَذُرِّيَّتِك وَأَنَّ مَا فَعَلْتَهُ كُلَّهُ يُفْعَلُ بِهِمْ .

فَإِنْ قُلْتَ : هُمْ لَمْ يَفْعَلُوا فَكَيْفَ عُوقِبُوا بِزَلَّاتِ آبَائِهِمْ وَانْتُقِمَ مِنْهُمْ بِمَعَاصِي أُصُولِهِمْ ؟ قُلْتُ : لِأَنَّهُمْ أَتْبَاعٌ لِأُولَئِكَ الْأُصُولِ وَنَاشِئُونَ عَنْهُمْ .

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الأعراف:٥٨] . ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الكهف:٨٢]».اهـ

٥) تأخير عقوبته له إلى الآخرة إن لم يتب منها

وهذا -لعمرُ الله- أشدُّ عليهم لو كانوا يعلمون؛ مِنْ أن يؤاخذهم الله به في الدنيا.

قال الله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة إبراهيم:٤٢]

وكل ظالم بحسبه، والمعاصي من أنواع الظلم.

فعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: **"قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ"** متفق عليه

وهذا اعتراف بظلم العبد لنفسه بالمعاصي أو بغفلته عن الذكر، فقد يعصي العبدُ ربَه ولا يجد عقوبتها في الدنيا، ولا يعلم المسكين أنَّه قد أُخِّرت له العقوبة إلى الآخرة، إلا أن يتجاوز الله عنه، ودليل ذلك ما ثبت عند الترمذي من حديث أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ"** [الصحيحة (١٢٢٠)].

فصلٌ
في بعض عواقب الذنوب عامة:

نذكر هذا الفصل ليرى العبدُ أثرَ الذنوب والمعاصي في حياته كلِها، والتي هي أشد عليه من سابقتها، سواء عرف ذلك أو لم يعرف.

فمن عواقب الذنوب والمعاصي (١):

أنَّ المعاصي تفسد العقل. فإنَّ للعقل نورًا، والمعصية تطفئ نور العقل، ولابدَّ؛ وإذا طفِئ نورُه ضعُفَ ونقَصَ.

ومن عقوباتها: أنّها تُعمي بصيرَة القلب، وتطمس نوره، وتسدّ طرق العلم، وتحجب موادّ الهداية.

(١) كلها مستفادة من كتاب ابن القيم الداء والدواء ط المجمع (١/ ١٤١). وذكر أكثر من هذا الذي نقلناه؛ فانظرها لعل الله أن يشرح صدرك، ويهديك لترك الذنوب كبيرها وصغيرها.

وقد قال مالك للشافعي لمّا اجتمع به ورأى تلك المخايل: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورًا، فلا تطفئه بظلمة المعصية.

ومنها: أنَّ الذنوب إذا تكاثرت طُبِعَ على قلب صاحبها، فكان من الغافلين؛ كما قال بعض السلف في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة المطففين: ١٤]. قال: هو الذنب بعد الذنب[(١)].

ومن عقوباتها: أنّها تُضْعِف في القلب تعظيمَ الربّ جل جلاله، وتُضْعِف وقارَه في قلب العبد، ولابدّ، شاء أم أبى. ولو تمكّن وقارُ الله وعظمتُه في قلب العبد لما تجرّأ على معاصيه.

ومن عقوباتها: أنّها تستدعي نسيانَ الله لعبده، وتركَه، وتخليتَه بينه وبيّن نفسه وشيطانه. وهناك الهلاك الذي لا يرجى معه نجاة.

ومن عقوباتها: أنها تُضْعِفُ سيرَ القلب إلى الله والدار الآخرة، أو تعوقه، أو توقفه وتقطعه عن السير، فلا تدَعه يخطو إلى الله خطوةً. هذا إن لم تردَّه عن وجهته إلى ورائه!

ومن عقوباتها: أنها تُزيل النعم وتُحِلّ النِّقَم. فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلّت به نقمة إلا بذنب؛ كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما نزل بلاءً إلا بذنب، ولا رُفِعَ بلاءً إلا بتوبة.

---

(١) جاء عن الحسن البصري بلفظ: تَدْرُونَ مَا الإِرَانَةُ؟ الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ، وَالذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ، حَتَّى يَمُوتَ الْقَلْبُ " رواه ابن أبي الدنيا في التوبة بسند رجاله ثقات.

ومن عقوباتها: ما يلقيه الله سبحانه من الرعب والخوف في قلب العاصي، فلا تراه إلاّ خائفًا مرعوبًا.

ومن عقوباتها: سقوط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه.

فإنَّ أكرم الخلق عند الله أتقاهم، وأقربهم منه منزلةً أطوعهم له، وعلى قدر طاعة العبد له تكون منزلته عنده. فإذا عصاه وخالف أمره سقط من عينه، فأسقطه من قلوب عباده.

ومن عقوباتها: أنها تؤثّر بالخاصّية في نقصان العقل. فلا تجد عاقلَين أحدهما مطيع لله، والآخر عاص، إلا وعقل المطيع منهما أوفر وأكمل، وفكره أصحّ، ورأيه أسدّ، والصواب قرينه. (١)

فيا أيها العبد إياك والذنوب، وإياك والمنكرات في عُرْسِك، ولا تبدأ حياتك الزوجية بالمنكرات فتجر الويلات إلى نفسك وأولادك وذريتك.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة النحل:٣٣].

(١) أقول: صدق رحمه الله، فالناظر إلى حالنا وإلى كثرة ذنوبنا يرى ما ابتلينا به من تفلت القرآن من صدورنا، وضعف الحفظ، فإلى الله نشكو كثرة ذنوبنا، ونرجو منه التوفيق للبعد عنها، والله المستعان.

فإلى كل من يشكو من ضعف الحفظ، وتفلت القرآن والأحاديث وسرعة النسيان، عليك بترك الذنوب وسترى ما لذلك من الأثر في عقلك وسمعك وبصرك، ونسأل الله من واسع فضله سبحانه.

الخطوة الرابعة

ذكر الله عند الجماع

وهذه الخطوة مِنْ أعظمِ الخطوات وأبركِها في صلاح الأولاد، وهي من أعظم المواطن التي يَثِبُ بها الشيطان على فريسته من أهل الغفلة عن الذكر، فيستحوذ على لبِّ كثير من الناس، فينسيهم ذكر الله في هذا الموطن، وصدق الله إذ يقول ﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ ﴾. وهذا الاستحواذ كل بحسبه.

فإذا لم يذكر العبدُ اسمَ الله عند جِمَاعِهِ؛ تسلط الشيطان على ولده الذي قُضِيَ له من جِمَاعِهِ ذاك، ولهذا يقول ربنا سبحانه وتعالى مخاطبًا إبليس عليه لعنة الله:

﴿ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ ﴾ [الإسراء: ٦٤]

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره (صـ ٤٦١):

"﴿ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ ﴾ وذلك شامل لكل معصية تعلقت بأموالهم وأولادهم من منع الزكاة والكفارات والحقوق الواجبة، وعدم تأديب الأولاد وتربيتهم على الخير وترك الشر وأخذ الأموال بغير حقها أو وضعها بغير حقها أو استعمال المكاسب الردية.

بل ذكر كثيرٌ من المفسرين أنَّه يدخل في مشاركة الشيطان في الأموال والأولاد ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع، وأنَّه إذا لم يسم الله في ذلك شارك فيه الشيطان كما ورد فيه الحديث". اهـ

قال القرطبي رحمه الله في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٨٩)

"روي عن مجاهد قال: إذا جامع الرجل ولم يسمِّ؛ انطوى الجان على إحليله فجامع معه فذلك قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن: ٥٦]". اهـ

ولهذا علَّمنا رسول الله ﷺ ما نقوله قبل جِمَاعِنَا لأهلنا لكي نُحْفَظَ من مشاركة الشيطان لنا من هذا الجانب، ففي الصحيحين من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " **لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا** "

قال المناوي رحمه الله في فيض القدير (٥ / ٣٠٦):

""**لو أَنَّ أحدهم إذا أراد أَنَّ يأتي**" يجامع فالإتيان كناية عنه "**أهله**" حليلته "**قال**" حين إرادته الجماع لا حين شروعه فيه فإنه لا يشرع حينئذ كما نبه عليه الحافظ ابن حجر "**بسم الله اللهم**" أي يا الله "**جنبنا الشيطان**" أي أبعده عنا "**وجنب الشيطان ما رزقتنا**" من الأولاد أو أعم والحمل عليه أتم لئلا يذهب الوهم في أنَّ الإنس منهم لا يسن له الإتيان به إذ العلة ليست حدوث الولد فحسب بل هو وإبعاد الشيطان حتى لا يشاركه في جماعه فقد ورد أنه يلتف على إحليله إذا لم يسم، والأهل والولد من رزق الله ويجوز كون إذا ظرفًا لقال، وقال خبر لأنَّ وكونها شرطية وجزاؤها قال والجملة خبر إنَّ "**فإنَّه إنْ قضى**" بالبناء للمفعول أي قدر "**بينهما**" أي بين الأحد والأهل وفي رواية بينهم بالجمع نظر إلى معناه في الأصل "**ولد**" ذكرا أو أنثى جواب

لو الشرطية ويمكن كونها للتمني **"من ذلك"** أي من ذلك الإتيان **"لم يضره"** بضم الراء على الأفصح وتفتح **"الشيطان"** بإضلاله وإغوائه ببركة التسمية **"أبدا"** فلا يكون للشيطان سلطان في بدنه ودينه ولا يلزم عليه عصمة الولد من الذنب لأنَّ المراد من نفي الأضرار كونه مصونًا من إغوائه بالنسبة للولد الحاصل بلا تسمية أو لمشاركة أبيه في جماع أمه، والمراد لم يضره الشيطان في أصل التوحيد وفيه بشارة عظمي أَنَّ المولود الذي يسمى عليه عند الجماع الذي قضى بسببه يموت على التوحيد وفيه أَنَّ الرزق لا يختص بالغذاء والقوت بل كل فائدة أنعم الله بها على عبد رزق الله، فالولد رزق وكذا العلم والعمل به". اهـ

قال العلامة البسام في شرح عمدة الحكام (٢/ ٢٥٦):

"وبمثل هذه الآداب الشريفة تكون عادات الإنسان عبادات، حينما تقترن بالآداب الشرعية، والنية الصالحة في إتيان هذه الأعمال". اهـ

فصـلٌ:

قد يقول بعض الجهال: وهل يُعْقَلُ مثل هذا الكلام؟

فيقال لهم ولأمثالهم:

"لَكِنَّ الصَّادِقَ قَدْ أَخْبَرَ هَذَا فَلاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ تَأْثِيرٌ ظَاهِرٌ وَإِلَّا فَمَا الْفَائِدَةُ فِيهِ، وَمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ بِالْعَمَلِ بِهَذَا فَرَأَى مِنَ الْبَرَكَةِ فِي وَلَدِهِ تَحَقَّقَ أَنَّهُ ﷺ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى". اهـ [مرقاة المفاتيح (٤/ ١٦٧٦)]

الخطوة الخامسة

حُسن التسمية للولد

وهذا من أعظم حقوق الأبناء؛ أن تختار له اسمًا حسنًا لا يُعيَّرُ به في حياته، ولا يُنَغِّصُ عليه في عيشته، فإنَّ الاسم لا يفارق صاحبه ما عاش، فهو ملازمٌ له، بل وينادى به في الدنيا والآخرة.

فإذا أساء الوالد في تسمية ولده؛ عاد ذلك بالتأثير على نفسية الولد، لا أنَّ الاسم له تأثير بذاته فهذا لا يكون أبدًا.

وقد يوافق الاسم ما قدره الله له فيتشاءم الناس به، وهو قَدْ قُدِّر له ذلك قبل أن يخلقه الله.

ولهذا يقول ابن القيم رحمه الله في تحفة المودود (صـ: ١٤٦):

"فقَلَّ أن ترى اسمًا قبيحًا إلا وهو على مسمًّى قبيح كما قيل:

وقل ما أبصرت عيناك ذا لقب. .إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

والله سبحانه بحكمته في قضائه وقدره يلهم النفوس أن تضع الأسماء على حسب مسمياتها لتناسب حكمته تعالى بين اللفظ ومعناه، كما تناسبت بين الأسباب ومسبباتها، قال أبو الفتح ابن جني: ولقد مر بي دهر وأنا أسمع الاسم لا أدري معناه فآخذ معناه من لفظه ثم أكشفه فإذا هو ذلك بعينه أو قريب منه فذكرت ذلك لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال وأنا يقع لي ذلك كثيرًا، وقد تقدم قوله:

" **أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ، وَ غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَعُصَيَّةُ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** "(١) ولما أسلم وحشي قاتل حمزة وقف بين يدي النبيﷺ فكره اسمه وفعله وقال: " **غَيِّبْ وَجْهَكَ عَنِّي** ". (٢)

وبالجملة فالأخلاق والأعمال والأفعال القبيحة تستدعي أسماء تناسبها وأضدادها تستدعي أسماء تناسبها، وكما أنَّ ذلك ثابت في أسماء الأوصاف فهو كذلك في أسماء الأعلام، وما سمي رسول الله محمدًا وأحمد إلا لكثرة خصال الحمد فيه، ولهذا كان لواء الحمد بيده وأمته الحمَّادون، وهو أعظم الخلق حمدًا لربه تعالى، ولهذا أمر رسول اللهﷺ بتحسين الأسماء فقال "**حَسِّنُوا أسماءكم**"(٣)، فإنَّ صاحب الاسم الحسن قد يستحي من اسمه وقد يحمله اسمه على فعل ما يناسبه وترك ما يضاده، ولهذا ترى أكثر السَّفَل أسماؤهم تناسبهم، وأكثر العليَّة أسماؤهم تناسبهم وبالله التوفيق". اهـ

وقد كان النبيﷺ يتفاءل بالاسم الحسن ويطلب ممن أرسل إليه رسولًا أن يكون اسمه حسنًا، فقد روى الطبراني في الكبير عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَرضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: "**إِذَا بَعَثْتُمْ رَسُولا فابْعَثُوهُ حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الاسْمِ**". [الصحيحة(١١٨٦)]

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر

(٢) أخرجه البخاري عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ بلفظ " **فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي** ".

(٣) (**ضعيف**) رواه أبو داود وأحمد والدارمي كلها من طريق عبد الله بن أبي زكريا عن أبي الدرداء، وفيه انقطاع، فإن عبد الله بن أبي زكريا لم يدرك أبا الدرداء.

وفي مرقاة المفاتيح (٧/ ٢٩٠٠):

" قَالَ ابْنُ الْمَلَكِ: فَالسُّنَّةُ أَنْ يَخْتَارَ الْإِنْسَان لِوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحَسَنَةِ، فَإِنَّ الْأَسْمَاءَ الْمَكْرُوهَةَ قَدْ تُوَافِقُ الْقَدَرَ كَمَا لَوْ سَمَّى أَحَدٌ ابْنَهُ بِخَسَارٍ، فَرُبَّمَا جَرَى قَضَاءُ اللَّهِ لِأَنْ يَلْحَقَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ أَوِ ابْنِهِ خَسَارٌ، فَيَعْتَقِدُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ ذَلِكَ سَبَبُ اسْمِهِ، فَيَتَشَاءَمُونَ وَيَحْتَرِزُونَ عَنْ مُجَالَسَتِهِ وَمُوَاصَلَتِهِ.

وَفِي شَرْحِ السُّنَّةِ: يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَخْتَارَ لِوَلَدِهِ وَخَدَمِهِ الْأَسْمَاءَ الْحَسَنَةَ، فَإِنَّ الْأَسْمَاءَ الْمَكْرُوهَةَ قَدْ تُوَافِقُ الْقَدَرَ. رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: جَمْرَةُ. قَالَ: ابْنُ مَنْ؟ قَالَ: ابْنُ شِهَابٍ. قَالَ: مِمَّنْ؟ قَالَ: مِنَ الْحِرَاقَةِ. قَالَ: أَيْنَ مَسْكَنُكَ؟ قَالَ: بِحُرَّةِ النَّارِ. قَالَ: بِأَيِّهَا؟ قَالَ: بِذَاتِ لَظًى، فَقَالَ عُمَرُ: أَدْرِكْ أَهْلَكَ فَقَدِ احْتَرَقُوا، فَكَانَ كَمَا قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، اهـ. وَلَعَلَّ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا قِيلَ: إِنَّ الْأَسْمَاءَ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، فَالْحَدِيثُ فِي الْجُمْلَةِ يَرُدُّ عَلَى مَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ تَسْمِيَةِ أَوْلَادِهِمْ بِأَسْمَاءٍ قَبِيحَةٍ، كَكَلْبٍ، وَأَسَدٍ، وَذِئْبٍ. وَعَبِيدِهِمْ، بِرَاشِدٍ وَنَجِيحٍ وَنَحْوِهِمَا. مُعَلِّلِينَ بِأَنَّ أَبْنَاءَنَا لِأَعْدَائِنَا وَخَدَمَنَا لِأَنْفُسِنَا". اهـ

ولهذا تجد أنَّ كثيرًا من الناس يسمُّون أبنائهم بأسماء قد تعود عليهم بالوبال، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

فمنهم من يسمي ولده عاصيًا فيكون الولد عاصيًا له، وبعضهم يسميه رعدًا فإذا كبر رَعَدَ وبَرَقَ في وجه أبيه، وبعضهم يسميه صيَّاحًا فإذا كبر صاح على والديه وهكذا.

وبعضهم يسمي أولاده بأسماء الغربيين، كجورج وبيري وبعض اللاعبين كميسي ورونالدو وبعض الممثلين، وكذا يفعلون في بناتهم فيسمونهنَّ بأسماء المغنيات كأصالة وذكرى وهيفاء ونانسي، وعلى بعض أسماء الممثلات الهنديات، فيكبر الابن وكذا البنت وقد تخلَّقُوا بأخلاق الغربيين والممثلين والفنانين وتشبهوا بهم في تميعهم ومجونهم وسفلتهم، وهم إليهم أقرب منهم لآبائهم وأمهاتهم، فيرغبون عن تعاليم الدين الإسلامي والأخلاق الفاضلة ويتخلقون بأخلاق الغرب والممثلين، ويتعلمون أفعالهم وحركاتهم والله المستعان على سوء أفعال بعض الآباء.

قال العلامة العثيمين في شرح رياض الصالحين (٤/ ٧٣):

"ولهذا ينبغي للإنسان أن يختار لأبنائه وبناته أحسن الأسماء، لينال بذلك الأجر، وليكون محسنًا إلى أبنائه وبناته.

...أمَّا أن تأتي بأسماء غريبة على المجتمع، فإنَّ هذا قد يوجب مضايقات نفسية للأبناء والبنات في المستقبل، ويكون كلُ همٍ ينال الولد أو الابن أو البنت من هذا الاسم فعليك إثمه ووباله، لأنك أنت المتسبب لمضايقته بهذا الاسم الغريب الذي يشار إليه، ويقال انظر إلى هذا الاسم، انظر إلى هذا الاسم!!.

ولهذا ينبغي للإنسان أن يختار أحسن الأسماء.

ويحرم أن يسمي الإنسان بأسماء من خصائص أسماء الكفار، مثل جورج وما أشبه ذلك من الأسماء التي يتلقب بها الكفار؛ لأنَّ هذا من باب التشبه بهم وقد قال النبي ﷺ " **مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ** ".

...ويجب علينا -نحن المسلمين -أن نكره الكفار كرهًا عظيمًا، وأن نعاديهم، وأن نعلم أنَّهم أعداء لنا مهما تزينوا لنا وتقربوا لنا، فهم أعداؤنا حقًا، وأعداء الله عز وجل، وأعداء الملائكة، وأعداء الأنبياء، وأعداء الصالحين، فهم أعداء ولو تلبسوا بالصداقة أو زعموا أنَّهم أصدقاء، فإنَّهم والله الأعداء، فيجب أن نعاديهم، ولا فرق بين الكفار الذين لهم شأن وقيمة في العالم أو الكفار الذين ليس لهم شأن". اهـ

قلت: وإنك لتعجب -والله-ممن إذا سميت ابنك باسمٍ من أسماء الصحابة، أو مما يحبها الله كعبد الله وعبد الرحمن، أو ابنتك باسم من أسماء أمهات المؤمنين، كزينب وحفصة وصفية وعائشة، انتقدوا عليك وقالوا هذه أسماء قديمة ما تليق بعصرنا هذا، ويسمونه (بلدي)، وأغرب من ذلك من يقول: "**حرام عليه والله**!!! أن يسمي ولده أو ابنته بهذا الاسم الكبير عليه أو عليها".

ويقولون: لو سمى ابنته هيفاء أو روبي أو ريماس أو نانسي من الأسماء الحديثة لكان أليقَ بها.

وهذا كلام باطل من أساسه، وقولهم: [**حرام عليه**] هو أليق بهم، فهم الواقعون في مشابهة أعداء الله والفسقة والمغنين.

فأيُّنا أهدى بذلك سبيلاً، الذي يسمي أبناءه بأسماء الأنبياء والصحابة، أم الذين يسمونهم بأسماء الفسقة والفجرة والكفرة، فالله المستعان على ما يصفون.

قال العلامة العثيمين:

"وفيه: أنه يستحب تسمية بعبد الله، فإنَّ التسمية بهذا وبعبد الرحمن أفضل ما يكون، قال النبي ﷺ " **إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ** " .

وأما ما يروى أنَّ "**خير الأسماء ما حُمِّدَ وعُبِّدَ** " فلا أصل له، وليس حديثًا عن رسول الله ﷺ، الحديث الصحيح: " **أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَّامٌ** "[1] . وحارث وهمام أصدق الأسماء لأنها مطابقة للواقع، فكل واحد من بني آدم فهو حارث يعمل، وكل واحد من بني آدم فهو همام يهم وينوي ويقصد وله إرادة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾ [سورة الانشقاق:٦]

وكل إنسان يعمل، فأصدق الأسماء حارث وهمام؛ لأنَّه مطابق للواقع، وأحبها إلى الله عبد الله، وعبد الرحمن ". اهـ

وقال العلامة بكر أبو زيد في كتابه تسمية المولود (ص: ٣):

«إنني تأملت عامة الذنوب والمعاصي فوجدت الذنوب والمعاصي إذا تاب العبد منها، فإنَّ التوبة تجذمها[2] وتقطع سيئ أثرها لتوها، فكما أنَّ الإسلام يجب ما قبله –

---

(١) **(حسن)** رواه أبو داود وغيره عن أبي وهب الجشمي، وفي سنده عقيل بن شبيب وهو مجهول ولكن له شواهد يصح بها، وحسنه الألباني في الترغيب (١٩٧٧)

(٢) معنى تجذمها أي تقطعها.

وأكبره الشرك، فإنَّ التوبة تجب ما قبلها متى اكتملت شروطها المعتبرة شرعًا ، وهي معلومة أو بحكم المعلومة.

لكن هناك معصية تتسلسل في الأصلاب، وعارها يلحق الأحفاد من الأجداد، ويتندر بها الرجال على الرجال، والولدان على الولدان، والنسوة على النسوان، فالتوبة منها تحتاج إلى مشوار طويل العثار، لأنَّها مسجلة في وثائق المعاش من حين استهلال المولود صارخاً في هذه الحياة الدنيا إلى ما شاء الله من حياته، في : شهادة الميلاد، وحفيظة النفوس، وبطاقة الأحوال، والشهادات الدراسية، ورخصة القيادة، والوثائق الشرعية .. إنها تسمية المولود التي تعثر فيها الأب، فلم يهتد لاسم يقره الشرع المطهر ويستوعبه اللسان العربي، وتستلهمه الفطرة السليمة.

وهذه واحدة من إفرازات التموجات الفكرية التي ذهبت بعضها بالآباء كل مذهب، كل بقدر ما أثر به من ثقافة وافدة، وكان من أسوئها ما نفث به بعض المستغربين منا من عشق كلف وظمأ شديد لأسماء الكافرين، والتقاط كل اسم رخو متخاذل، وعزوف سادر عن زينة المواليد : الأسماء الشرعية.

وهكذا سرت هذه الأسماء الأجنبية عنا من كل وجه : عن لغتنا، وديننا، وقيمنا، وأخلاقنا، وكرامتنا، مطوحة الغفلة بنا حينا، والتبعية المذلة أحياناً، فتولدت هذه الفتنة العمياء الصماء في صفوف المسلمين، وانحسرت هذه الزينة عمن شاء الله من مواليدهم». اهـ

فصـــلٌ:

في مشروعية تغيير من كان اسمه مكروهًا ولو كان كبيرًا:

فقد غيَّر النبي ﷺ كثيرًا من الأسماء التي رأى غيرها خيرًا منها في حين كان أصحابها كبارًا ودونك بعضها:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺغير اسم عاصية، وقال: **"أنت جميلة"**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَه شِهَابٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"بل أنت هشام"**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ قَالَ سَمِعْتُ مُطِيعًا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **"**يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ لَا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ صَبْرًا بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَمْ يُدْرِكِ الْإِسْلَامَ أَحَدٌ مِنْ عُصَاةِ قُرَيْشٍ غَيْرُ مُطِيعٍ كَانَ اسْمُهُ الْعَاصَ فَسَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ مطيعًا**"**

عن بشير بن نهيك رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: **"مَا اسْمُكَ؟ "** قَالَ: زَحْمٌ قَالَ: **"بَلْ أَنْتَ بَشِيرٌ"**

وهذه الأحاديث السابقة الذكر كلها في الأدب المفرد للبخاري ويصححها العلامة الألباني رحمه الله.

وأخرج البخاري في صحيحه عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ أَبَاهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: **"مَا اسْمُكَ"**قَالَ: حَزْنٌ، قَالَ: **"أَنْتَ سَهْلٌ"**قَالَ: لاَ أُغَيِّرُ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي قَالَ ابْنُ الْمُسَيِّبِ: **"فَمَا زَالَتِ الحُزُونَةُ فِينَا بَعْدُ"**

فيا أيها الأب؛ سمِّ ابنك وابنتك؛ بما ترتضي أن يُنادى به في الدنيا والآخرة، وما يجعله ذاكرًا لك بالخير داعيًا لك بالمغفرة.

فصلٌ في بعض الأسماء المكروهة:

قال بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه الفريد معجم المناهي اللفظية (٥٤٣):

«(الأصل التاسعُ: في الأسماءِ المكروهةِ: يمكنُ تصنيفها على ما يلي:

١. تُكرهُ التَّسميةُ بما تنفُرُ منهُ القلوبُ؛ لمعانيها، أو ألفاظِها، أو لأحدِهما؛ لما تُثيرهُ مِن سُخريةٍ وإحراجٍ لأصحابِها وتأثيرٍ عليهم؛ فضلاً عن مُخالفةِ هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - بتحسين الأسماءِ:

ومنها: حرْب، مُرَّة، خنْجر، فاضِح، فحيط، حطيحط، فدْغوش ... وهذا في الأعرابِ كثيرٌ، ومن نظر في دليل الهواتفِ رأى في بعضِ الجهاتِ عجباً!

ومنها: هُيام وسُهام؛ بضم أولهما: اسم لداء يُصيب الإبل.

ومنها: رُحاب وعفلق، ولكل منهما معنىً قبيحٌ.

ومنها: نادية؛ أي: البعيدة عن الماء.

٢. ويُكرهُ التسمِّي بأسماءٍ فيها معانٍ رخوةٌ شهوانيةٌ، وهذا في تسمية البناتِ كثيرٌ، ومنها: أحلام، أريج، عبير، غادة (وهي التي تتثنَّى تيهاً ودلالاً) ، فتنة، نهاد، وِصال، فاتن (أي: بجمالها) شادية، شادي (وهما بمعنى المُغنِّية) .

٣. ويُكرهُ تعمُّدُ التَّسمِّي بأسماءِ الفُساقِ الماجنين من الممثِّلين والمطربين وعُمَّارِ خشباتِ المسارحِ باللهوِ الباطلِ.

ومن ظواهر فراغ بعض النفُّوسِ مِن عزَّةِ الإيمانِ: أنهم إذا رأوْه مسرحيةً فيها نسوةٌ خليعاتٌ؛ سارعوا مُتهافتين إلى تسميةِ مواليدِهم عليها، ومن رأى سجِلاَّتِ المواليدِ التي تُزامِنُ العرض؛ شاهد مصداقيَّة ذلك ... فإلى اللهِ الشكوى.

٤. ويُكرهُ التسمِّي بأسماءِ الحيواناتِ المشهورةِ بالصِّفاتِ المستهْجنةِ، ومنها التَّسميةُ بما يلي: حنش، حِمار، قُنْفذ، قُنيفذ، قِرْدان، كلْب، كُليب.

والعربُ حين سمَّت أولادها بهذه؛ فإنَّما لما لحِظتْهُ مِن معنى حسنٍ مرادٍ: فالكلبُ لما فيهِ من القيظةِ والكسْب، والحمارُ لما فيه مِن الصَّبر والجلد، وهكذا ... وبهذا بطل غمْزُ الشُّعوبيَّةِ للعربِ كما أوضحهُ ابنُ دُريدٍ وابنُ فارسٍ وغيرُهما.

٥. وكرِه جماعةٌ مِن العلماءِ التَّسمية بأسماءِ سُورِ القرآنِ الكريمِ؛ مثل: طه، يس، حم....

﴿وأما ما يذكُرهُ العوامُّ أنَّ (يس وطه) مِن أسماءِ النبي ﷺ فغيرُ صحيحٍ"). اهـ بتصرف واختصار.

وقال رحمه الله في تسمية المولود (ص: ٢):

«فعلى المسلمين بعامة، وعلى أهل هذه الجزيرة العربية بخاصة: العناية في تسمية مواليدهم بما لا ينابذ الشريعة بوجه، ولا يخرج عن سنن لغة العرب، حتى إذا أتى إلى بلادهم الوافد، أو خرج منها القاطن، فلا يسمع الآخرون إلا: عبد الله،

وعبدالرحمن، ومحمدًا، وأحمد، وعائشة، وفاطمة ... وهكذا من الأسماء الشرعية في قائمة يطول ذكرها، زخرت بها كتب السير والتراجم.

أما تلك الأسماء الأعجمية المولدة لأمم الكفر المرفوضة لغة وشرعاً، والتي قد بلغ الحال من شدة الشغف بها : التكني بأسماء الإناث منها، وهذه معصية المجاهرة، مضافة إلى معصية التسمية بها، فاللهم لا شماتة.

ومنها : آنديرا، جاكلين، جولي، ديانا، سوزان - ومعناها : الإبرة أو المحرقة - فالي، فكتوريا، كلوريا، لارا، لندا، ليسندا ، مايا، منوليا، هايدي، يارا.

وتلك الأسماء الأعجمية - فارسية أو تركية أو بربرية - : مرفت، جودت، حقي، فوزي، شيريهان، شيرين، نيفين ...

تلك التفاهة الهمل : زوزو، فيفي، ميمي ..

وتلك الأسماء الغرامية الرخوة المتخاذلة: أحلام، أريج، تغريد، غادة، فاتن، ناهد، هُيام، وهو بضم الهاء: ما يشبه الجنون من العشق أو داء يصيب الإبل، وبفتحها: الرمل المنهار الذي لا يتماسك.

وهكذا في سلسلة يطول ذكرها.

أنادي بلسان الشريعة الإسلامية: على المسلمين أن يتقوا الله، وأن يلتزموا بأدب الإسلام وسنة النبي ﷺ، وأن لا يؤذوا السمع والبصر في تلكم الأسماء المرذولة، وأن لا يؤذوا أولادهم بها، فيحجبوا بذلك عنهم زينتم : الأسماء الشرعية».

اهـ

وقال رحمه الله في كتابه خصائص جزيرة العرب (صـ٥٤):

«وبما أنَّ الاسم عنوان المسمى وشعار يدعى به المرء في الآخرة والأولى والاسم كالثوب إن قصر شان وإن طال شان ونحن مأسورون في قالب الشرع المطهر ومن أبرز سماته أن لا يكون في الاسم تشبه بأعداء الله، ولا متابعة للفساق فعلى المسلمين عامة، وعلى أهل هذه الجزيرة بخاصة العناية في تسمية مواليدهم بما لا ينابذ الشرع، فإذا أتى إليها الوافد أو خرج منها القاطن؛ فلا يسمع الآخرون إلا عبدَالله وعبدَ الرحمن ومحمدا وأحمدَ وعائشةَ وفاطمةَ ... وهكذا في الأسماء الشرعية في ألوف مؤلفة زخرت بها كتب السير والتراجم.

أما تلك الأسماء لأمم الكفر: **فكتوريا ، سوزان** .. فليس لها عند أهل الإيمان نصيب ومثلها أسماء الفساق الأخرى التي ليس لها بهاء ولا لياقة ... وهكذا في سلسلة يطول ذكرها.

أقول: على أهل هذه الجزيرة أن يتقوا الله وأن يلتزموا بأدب الإسلام وسنة النبي ﷺ، وأن لا يؤذوا السمع والبصر في تلكم الأسماء المتخاذلة، وإن التساهل في الأسماء كالتساهل في الأفعال كل منهما قبيح وعلى جهة الأحوال المدنية وضع الضوابط الشرعية لذلك». اهـ

وهناك كتاب جميل في الكنى والأسماء والألقاب لأخينا الفاضل الشيخ صالح الرداعي يُستفاد منه في هذا الباب فهو كتابٌ قيِّم، ذكر فيه جملة من الأسماء مما لا يجوز التسمي بها، وذكر أخرى مما يحسن التسمي بها فليراجع، فهو جميل في بابه.

الخطوة السادسة

العقُّ عنه بما تيسر

فقد روى أبو داود في سننه عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ **"كُلُّ غُلاَمٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيقَتِهِ تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ وَيُحْلَقُ وَيُسَمَّى "** [صححه الألباني في الإرواء (١١٦٥)].

قال القسطلاني في إرشاد الساري (٨/ ٢٥٣):

""**كل غلام رهينة بعقيقته**" أي مرهون، والمعنى أنَّه كالشيء المرهون لا يتم الانتفاع والاستمتاع به دون فكه، والنعمة إنَّما تتم على المنعم عليه بقيامه بالشكر ووظيفة الشكر في هذه النعمة ما سنَّه نبيه ﷺ وهو أن يعق عن المولود شكرًا لله تعالى وطلبًا لسلامة المولود، ويحتمل أنَّه أراد بذلك أنَّ سلامة المولود ونشأه على النعت المحبوب رهينة بالعقيقة هذا هو المعنى ". اهـ

قال العلامة العثيمين في لقاءات الباب المفتوح:

""**مرتهن بعقيقته**" أي: أنَّ العقيقة من أسباب انطلاق الطفل في مصالح دينه ودنياه، وانشراح صدره عند ذلك، وأنه إذا لم يعق عنه فإنَّ هذا قد يحدث له حالة نفسية توجب أن يكون كالمرتهن. وهذا القول أقرب، وأنَّ العقيقة من أسباب صلاح الولد وانشراح صدره ومضيه في أعماله". اهـ

فالعقيقة وهي التي تذبح عن الولد يوم سابعه أو حين تيسر الحال، هي مما يُرجى بها أن يُصلِحَ اللهُ حال المولود في الدنيا فينتفع به والداه، لأنَّ العق عنه من شكر

النعم، وشكر النعم دليل على صلاح الحال والأحوال فإنَّ الله يرضى لعباده أن يكونوا شاكرين، وما رضيه الله لعباده ففيه تمام الخير والبركة، وما رضي الله عن شيء إلا وحلَّت فيه البركة، فتنبه لهذا الشأن العظيم في هذه العقيقة.

قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧]

قال ابن كثير رحمه الله (١/ ٤٦٥):

"وقوله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ۝١٥٢﴾ [سورة البقرة:١٥٢].

أمر الله تعالى بشكره، ووعده على شكره بمزيد الخير، فقال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [سورة إبراهيم:٧] ".

اهـ

فما شكر عبدٌ نعمة الله عليه بالولد فذبح عنه العقيقة وعمل بما أمره الله سبحانه من رعاية هذا الولد وحسن تأديبه وسعى في صلاحه؛ إلا أقرَّ الله عينه بصلاح ولده ونجاحه وفلاحه، وهذا في غالب الأحوال ولله الحكمة البالغة في ذلك.

فصلٌ:

وقد تَعْرُضُ أمورٌ تَخْرُجُ بهذا الولد عن جانب الصلاح وإنما ذاك لأمور يعلمها الله،

وقد يكون من أهمها:

فساد نية الأب عند العقيقة بإرادة الشهرة والافتخار على الناس،

أو بالمبالغة في العقيقة والخروج بها عن جانب السُّنيِّة إلى جانب محبة البروز والظهور أمام الناس بصورة المتبجح على الفقراء بأمواله، وغير ذلك مما يرجع إلى فساد النية عند الأب فيُعَامل بنقيض قصده، والله هو المطلع على النيات وخبايا الصدور قال الله سبحانه: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [سورة غافر: ١٩]

وليتدبر العبد قول الله: ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة التوبة: ٧٠]

ولهذا كان لابد للوالد في عقيقته لولده من أمورٍ ومنها:

١) أن يذبح عن الولد شاتين وعن الجارية شاة

لما رواه أبو داود (٢٨٣٦) في سننه عَنْ أُمِّ كُرْزٍ الْكَعْبِيَّةِ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ **"عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ"**. قَالَ أَبُو دَاوُدَ سَمِعْتُ أَحْمَدَ قَالَ مُكَافِئَتَانِ أَيْ مُسْتَوِيَتَانِ أَوْ مُقَارِبَتَانِ. [الصحيحة للألباني (١٦٥٥)]

ولا يبالغ في ذلك كأن يذبح ثورًا أو بقرة، فإنَّ متابعة النبي ﷺ أمرٌ قاصدٌ ويجعل الله فيه بركة، والمخالفة في ذلك يدعو الناس إلى التنافس والخروج عن المقصود، فهذا سيذبح ثورًا وذاك يراه فيذبح ثورين فيتجاوزون الأمر من السُّنَّة إلى الفخر والرياء والعياذ بالله.

ولهذا انظر إلى حسن الاتباع من أصحاب رسول الله ﷺ ومن زوجاته كذلك فقد روى البيهقي في سننه عن ابْنِ أَبِى مُلَيْكَةَ قال: **"**نُفِسَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى بَكْرٍ غُلاَمٌ فَقِيلَ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عُقِّي عَلَيْهِ أَوْ قَالَ عَنْهُ جَزُورًا فَقَالَتْ:

"مَعَاذَ اللَّهِ وَلَكِنْ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **"شَاتَانِ مُكَافَأَتَانِ ""**. [صححه الألباني في الإرواء (١١٦٦)]

وفي مصنف عبد الرزاق عن حَفْصَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّهَا وَلَدَتْ لِلْمُنْذِرِ بْنِ الزُّبَيْرِ غُلاَمًا، فَقِيلَ لَهَا: "هَلاَّ عَقَقْتِ جَزُورًا عَلَى ابْنِكِ"، فَقَالَتْ: مَعَاذَ اللَّهِ كَانَتْ عَمَّتِي عَائِشَةُ، تَقُولُ: **"عَلَى الْغُلاَمِ شَاتَانِ، وَعَلَى الْجَارِيَةِ شَاةٌ"**

وصححه الألباني في الصحيحة تحت حديث (٢٧٢٠)

قلت: وقد جاء حديث فيه العق عن المولود ببقر أو إبل، والحديث ضعيفٌ، ضعفه العلامة الألباني رحمه الله، **ولهذا قال تحت الحديث السابق الذكر**:

"وقولها " **لا** "، فإنه صريح في أنه لا تجزي العقيقة بغير الغنم". اهـ

وقال العلامة العثيمين في لقاءات الباب المفتوح (٢٣٦):

"وهي للذكر اثنتان، وإن اقتصر على واحدة أجزأ، وللأنثى واحدة والأفضل ألا يزيد؛ لأنَّه إذا فُتِحَتْ باب الزيادة صار الناس يتباهون في هذا وربما تصل إلى عشرات، فيقال: اقتصر على السنة، فإذا قال: لي أصحاب، لي أقارب، لي جيران، قلنا: وليكن، إن كفت الواحدة للأنثى أو الاثنتان للذكر فهذا المطلوب، وإن لم تكفِ فاشترِ دجاجًا أو لحمًا ولا تذبح سوى ما جاءت به السنة ". اهـ

٢) وإن لم يجد اقتصر على واحدة للغلام

للرواية التي في سنن أبي داود عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: **"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَقَّ عَنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ كَبْشًا كَبْشًا"**. ويصحح هذه الرواية العلامة الألباني

وقد انتقدت هذه الرواية، ففي عون المعبود شرح سنن أبي داود (٧/ ٦٣):

"قال الحافظ: ولا حجة فيه فقد أخرجه أبو الشيخ من وجه آخر عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ **"كبشين كبشين "**وأخرج أيضًا من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مثله.

وعلى تقدير ثبوت رواية أبي داود فليس في الحديث ما يرد به الأحاديث المتواردة في التنصيص على التثنية للغلام، **بل غايته أنه يدل على جواز الاقتصار وهو كذلك، فإن العدد ليس شرطًا بل مستحب انتهى"**. اهـ

وقد مر بنا قول العلامة العثيمين: "وهي للذكر اثنتان، وإن اقتصر على واحدة أجزأ". اهـ

٣) أن يخلص نيته لله في هذه العقيقة

ويبتغي بذبحها وجه الله، وشكر نعمة الله عليه، وأن لايكونَ قصده بذلك السمعة والرياء عند الناس، فإنَّ الرياء والسمعة أساسُ إبطالِ الأعمال عند الله.

والله المستعان.

الخطوة السابعة

الدعاء له

فإنَّ الدعاء شأنه عظيم عند الله ونفعه جليل على العبد ولهذا كان من دعاء الأنبياء سؤال الولد الصالح من الله عز وجل، قال الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٠ – ١٠١]

وقال سبحانه وتعالى عن زكريا عليه السلام: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾ [مريم: ٥ – ٧]

وكان كذلك من دعاء الآباء الصالحين قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٥]

ولهذا مما ينبغي على الوالد والوالدة أن يدعوا لولدهم بالصلاح، سواء قبل ولادته وقبل أن يرزقهم الله الولد، وأن يطلب من الله أن يرزقه الولد الصالح، أو كان ذلك بعد ولادته، فإنه يدعو الله عز وجل أن يصلح شأن هذا الولد.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٤]

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٦/ ١٣٢):

"وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤]، يعني: الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم وذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له.

قال ابن عباس: يعنون من يعمل بالطاعة، فتقرُّ به أعينهم في الدنيا والآخرة.

وقال عكرمة: لم يريدوا بذلك صباحةً ولا جمالًا ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين.

وقال الحسن البصري -وسئل عن هذه الآية -فقال: أن يُرِيَ اللهُ العبدَ المسلمَ من زوجته، ومن أخيه، ومن حميمه طاعة الله. لا والله ما شيء أقرُ لعين المسلم من أن يرى ولدًا، أو ولد ولد، أو أخًا، أو حميمًا مطيعًا لله عز وجل". اهـ

وقال سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٧ – ١٢٨]

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (١/ ٤٤٢):

"وهذا القدر مرغوب فيه شرعًا، فإنَّ من تمام محبة عبادة الله تعالى أن يحب أن يكون من صلبه من يعبد الله وحده لا شريك له؛ ولهذا لما قال الله تعالى لإبراهيم، عليه السلام: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[البقرة: ١٢٤] قال: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا

يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٤] وهو قوله: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وقد ثبت في صحيح مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنَّه قال: " **إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**"". اهـ

فادعو يا أيها الأب لولدك، وإياك والدعاء عليه فإنَّ هذا مما يزيده ضعفًا وخَوَرًا وقد قال النبي ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنهما: "**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**"

وفي مرعاة المفاتيح (١٧/ ١٣): "قوله: "**لا تدعوا**" أي دعاء سوء "**على أنفسكم**" أي بالهلاك والويل ونحو ذلك عند التضجر في مصيبة المرض أو الموت مثلا "**ولا تدعوا على أولادكم**" أي بالعمى واللعن ونحو ذلك وقد كثرت وغلبت هذه البلية في النساء فإنهن يدعون على أولادهن عند الضجر والملال "**ولا تدعوا على أموالكم**" قال القاري: أي من العبيد والإماء بالموت وغيره... لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم". اهـ

وليكن كل دعائك له بالصلاح والهداية والتوفيق وهذا خير لك وله، فإنك إن لعنته؛ فقد سألت الله أن يطرده من رحمته، ومن طرده الله من رحمته كيف ينال خيرًا ويكون صالحًا. والله المستعان.

الخطوة الثامنة

تعليقه بالله من صغره

وذلك يكون بأمور ومنها:

١. تعريفه أنَّ الله هو الذي خلقه:

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [سورة الزمر: ٦٢].

وقال عن إبراهيم: ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨﴾ [سورة الشعراء: ٧٧-٧٨].

٢. تعليمه العقيدة الصحيحة:

قال الله عن لقمان الحكيم وهو يعظ ولده، ويعلمه العقيدة الصحيحة ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: ١٣]

وقد كان النبي ﷺ يُعلِّم الغلمان العقيدة الصحيحة، فعند أحمد من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: "أَنَّهُ رَكِبَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **يَا غُلَامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ وَإِذَا سَأَلْتَ فَلْتَسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**". [صححه الشيخ مقبل رحمه الله في الصحيح المسند (٦٨٥)]

وهذا حديث عظيمٌ يدل على اعتناء النبي ﷺ بتعليم الصبيان أمورَ العقيدة.

وعند ابن ماجه من حديث جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا" [صححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح ابن ماجه (٥٢)]

٣. تعريفه أنَّ الله في السماء:

أخرج مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: **"ائْتِنِي بِهَا"** فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: **"أَيْنَ اللهُ؟"** قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: **"مَنْ أَنَا؟"** قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: **"أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ""**

٤. تعليمه الصلاة من السابعة

ففي سنن أبي داود عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **"مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ"** [صححه الألباني في الإرواء (٢٤٧)]

٥. تخويفه بالله إذا ارتكب مخالفةً كالكذب وغيره وتفهيمه بأنَّ الله يعاقب على الكذب وأنَّه لا يحب الذي يفعل كذا وكذا.

في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"كِخْ كِخْ، ارْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟** " وهذا لفظ مسلم

٦. تعويده على قول بسم الله في الأمور المطلوبة شرعًا

في الصحيحين من حديث عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **"**كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ"**فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ".

قال القرطبي في المفهم (١٧/ ٢٥):

"فيه تعليم الصبيان ما يحتاجون إليه من أمور الدين وآدابه. وهذه الأوامر كلها على الندب؛ لأنَّها من المحاسن المكمِّلة، والمكارم المستحسنة. والأصل فيما كان من هذا الباب: الترغيب، والنَّدب ". اهـ

٧. تعويد الأولاد على محاسن الأخلاق والتأسي بالنبي ﷺ:

بتعليمه السلام على الناس، ورد السلام، والتبسم للغير مما يتعود به الأخلاق الفاضلة، وكذا التأسي بالنبي ﷺ في لباسه؛ من القميص، أو الرداء مع الإزار، وإياك وتعويده على البنطال ولباس من لا خلاق لهم من الكفار والفساق والمغنين والممثلين، فإنَّ هذا يقود إلى فساده، وفساد الظاهر يقود إلى فساد الباطن، والابن والبنت في ذلك سواء.

قال ابن مفلح في الآداب الشرعية (١/ ١٣٦):

«قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَأَخْبَرَ أَنَّ صَلاَحَ الْقَلْبِ مُسْتَلْزِمٌ لِصَلاَحِ سَائِرِ الْجَسَدِ، وَفَسَادَهُ مُسْتَلْزِمٌ لِفَسَادِهِ، فَإِذَا رَأَى ظَاهِرَ الْجَسَدِ فَاسِدًا غَيْرَ صَالِحٍ عَلِمَ أَنَّ الْقَلْبَ لَيْسَ بِصَالِحٍ بَلْ فَاسِدٌ، وَيَمْتَنِعُ فَسَادُ الظَّاهِرِ مَعَ صَلاَحِ الْبَاطِنِ كَمَا يَمْتَنِعُ صَلاَحُ الظَّاهِرِ مَعَ فَسَادِ الْبَاطِنِ إذْ كَانَ صَلاَحُ الظَّاهِرِ وَفَسَادُهُ مُلاَزِمًا لِصَلاَحِ الْبَاطِنِ وَفَسَادِهِ». اهـ

وكم تجد من الآباء ممن يعودون بناتهم على لبس القصير والعاري؛ بحجة أنَّها صغيرةٌ، وفي ذلك من الفساد لهنَّ ما لا يعلمه الأب ولا الأم.

وما حصل من فساد في أخلاق البنين والبنات -وفي البنات خاصة-؛ إلا بسبب لباسهم الذي قادهم إلى التشبه بالفجار والممثلين والمغنين، فتعودت البنت على لبس العاري والقصير في صغرها فألِفت عليه، واعتادت عليه نفسُها، فصعُب فطامُها منه عند بلوغها، فقاد إلى فسادها.

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

«لكن تعويد الصبيان والأطفال هذه الألبسة الخالعة القصيرة؛ لا شك أن سيهون عليهم كشف العورة في المستقبل، بل ربما لا يستحي الإنسان إذا كشف فخذه لأنَّه كان يكشفه صغيرًا ولا يهتم به، وحينئذ يكون نظر الناس إلي عوراتهم كنظرهم إلي وجوههم في عدم حرمتها والخجل منها، فالذي أرى أن يمنع الأطفال وإن كانوا صغارا من مثل هذه الألبسة، وأن يلبسوا لباس احتشام بعيد عن المحذور». اهـ

وهذه الخطوة لا تحتاج إلى مزيد إيضاح فهي واضحة كوضوح الشمس، وذلك لأنَّ في تعليق الولد بربه؛ وتعليمه الأخلاق الفاضلة؛ سعيًا من الأب بالحفاظ على فطرة الولد السليمة التي فطره الله عليها، ودفعًا به إلى الصلاح، وصونًا له من الوقوع في اجتيال الشياطين.

فقد أخرج مسلم في صحيحة من حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله: **"إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ"**

قال القرطبي في المفهم (٢٢/ ٦٦)

"وقوله: **"وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم "** يعني: شياطين الإنس من الآباء والمعلِّمين بتعليمهم وتدريبهم، وشياطين الجن بوساوسهم. ومعنى اجتالتهم: أجالتهم، أي: صرفتهم عن مقتضى الفطرة الأصلية، كما قال: **"حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه "**. وفي الرواية الأخرى: **"حتى يعبر عنه لسانه "**يعني بما يلقي إليه الشيطان من الباطل والفساد المناقض لفطرة الإسلام **"**. اهـ

فتمعن في قوله: **"يعني: شياطين الإنس من الآباء والمعلِّمين بتعليمهم وتدريبهم "** تجد ما ذكرناه لك واضحًا جليًا في مسخ فطر الأولاد إن فسد الآباء.

قال ابن القيم رحمه الله في تحفة المودود (ص: ٢٣١):

"فإذا قربوا من وقت التكلم وأريد تسهيل الكلام عليهم فليدلك ألسنتهم بالعسل والملح الاندراني لما فيهما من الجلاء للرطوبات الثقيلة المانعة من الكلام، فإذا كان وقت نطقهم فليلقنوا (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه وتوحيده وأنه سبحانه فوق عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم وهو معهم أينما كانوا، وكان بنو إسرائيل كثيرًا ما يسمون أولادهم بـ (عمانويل)، ومعنى هذه الكلمة (إلهنا معنا)، ولهذا كان أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، بحيث إذا وعى الطفل وعقل علم أنه عبد الله، وأن الله هو سيده ومولاه". اهـ

وهذا كلام في غاية النفاسة.

الخطوة التاسعة

إحياء البيت بذكر الله

فإنَّ البيت الذي يكون عامرًا بذكر الله؛ بيتٌ تألفه الملائكة، وتتنزل فيه السكينة، فينشأ أهله على الصلاح، ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ"**

قال المناوي في فيض القدير (٥/ ٥٠٦):

"تشبيه البيت بالحي والميت؛ من حيث وجود الذكر وعدمه، شبَّه الذاكر بالحي الذي تزين ظاهره بنور الحياة وإشراقها فيه وبالتصرف التام فيما يريد وباطنه منور بالعلم والفهم فكذا الذاكر يزين ظاهره بنور العمل وباطنه بنور العلم والمعرفة، فقلبه قار في حظيرة القدس وسره في مخدع الوصل وغير الذاكر ظاهره عاطل وباطنه باطل". اهـ

ويؤيد ما ذكرناه من حضور الملائكة للبيت الذي يُذكَرُ الله فيه ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن ثَابِتٍ البناني قَالَ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: "الْبَيْتُ إِذَا تُلِيَ فِيهِ كِتَابُ اللَّهِ اتَّسَعَ بِأَهْلِهِ، وَكَثُرَ خَيْرُهُ، وَحَضَرَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، وَخَرَجَتْ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ، وَالْبَيْتُ الَّذِي لَمْ يُتْلَ فِيهِ كِتَابُ اللَّهِ ضَاقَ بِأَهْلِهِ، وَقَلَّ خَيْرُهُ، وَتَنَكَّبَتْ عَنْهُ الْمَلَائِكَةُ وَحَضَرَتْهُ الشَّيَاطِينُ " [وإسناده صحيح إليه] وهذا كلام لا يقال من قبيل الرأي.

وأصرح من ذلك ما ثبت في الصحيحين عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رضي الله عنه قَالَ: "بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: **"اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ "** قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ، فَخَرَجْتُ حَتَّى لاَ أَرَاهَا، قَالَ: **"وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟ "**، قَالَ: لاَ، قَالَ: **"تِلْكَ المَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ "**

قال الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح (٤/ ١٤٥٨):

""اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ"... أَيْ رَدِّدْ وَدَاوِمْ عَلَى الْقِرَاءَةِ الَّتِي سَبَبٌ لِمِثْلِ تِلْكَ الْحَالَةِ الْعَجِيبَةِ إِشْعَارًا بِأَنَّهُ لَا يَتْرُكُهَا إِنْ وَقَعَ لَهُ ذَلِكَ بَعْدُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بَلْ يَسْتَمِرُّ عَلَيْهَا اسْتِمْتَاعًا بِهَا، وَقَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: اقْرَأْ لَفْظُ أَمْرٍ طَلَبٍ لِلْقِرَاءَةِ فِي الْحَالِ وَمَعْنَاهُ تَخْصِيصُ وَطَلَبُ الِاسْتِزَادَةِ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي، فَكَأَنَّهُ اسْتَحْضَرَ تِلْكَ الْحَالَةَ الْعَجِيبَةَ الشَّأْنِ فَأَمَرَهُ تَحْرِيضًا عَلَيْهِ اهـ. فَكَأَنَّهُ قَالَ: هَلاَّ زِدْتَ، وَلِذَلِكَ **"قَالَ: فَأَشْفَقْتُ"** وَفِي نُسْخَةٍ: أَشْفَقْتُ **"يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى"**، أَيْ خِفْتُ إِنْ دُمْتُ عَلَيْهَا أَنْ تَدُوسَ الْفَرَسُ وَلَدِي يَحْيَى **"وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا فَانْصَرَفْتُ"**، أَيْ عَنِ الْقِرَاءَةِ **"إِلَيْهِ"**، أَيْ إِلَى يَحْيَى تَرَحُّمًا عَلَيْهِ **"وَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ**

الْمَصَابِيحِ"وَهَذَا بِحَسَبِ الظَّاهِرِ تَكْرَارٌ وَدَفَعَهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - بِأَنَّهُ لَمَّا حَكَى لَهُ - عليه الصلاة والسلام - صَدْرَ الْقَضِيَّةِ وَهُوَ جَوَلَانُ الْفَرَسِ حِينَ الْقِرَاءَةِ فَقَالَ ﷺ: **"اقْرَأْ "**، أَيْ كُنْتَ زِدْتَ فِي الْقِرَاءَةِ فَذَكَرَ الْعُذْرَ فِي تَرْكِهَا **"فَخَرَجْتُ"**، أَيْ مِنْ بَيْتِي **"حَتَّى لَا أَرَاهَا"**، أَيِ الْمَصَابِيحُ لِغَايَةِ الْفَزَعِ **"قَالَ"**، أَيِ النَّبِيُّ ﷺ **"وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟ "**، أَيْ تَعْلَمُ أَيَّ شَيْءٍ ذَاكَ الْمَرْئِيَّ **"قَالَ: لَا، قَالَ: تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ"**، أَيْ نَزَلَتْ وَقَرُبَتْ **"لِصَوْتِكَ"**، أَيْ بِالْقِرَاءَةِ **"وَلَوْ قَرَأْتَ"**، أَيْ إِلَى الصُّبْحِ **"لَأَصْبَحَتْ"**، أَيِ الْمَلَائِكَةُ **"يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ"**، أَيْ لَا تَغِيبُ وَلَا تَخْفَى الْمَلَائِكَةُ مِنَ النَّاسِ، وَوَجْهُ التَّشْبِيهِ الْمَذْكُورِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ ازْدَحَمُوا عَلَى سَمَاعِ الْقُرْآنِ حَتَّى صَارُوا كَالشَّيْءِ السَّاتِرِ الْحَاجِزِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ، وَكَأَنَّ تِلْكَ الْمَصَابِيحَ هِيَ وُجُوهُهُمْ، وَلَا مَانِعَ مِنْ أَنَّ الْأَجْسَامَ النُّورَانِيَّةَ إِذَا ازْدَحَمَتْ تَكُونُ كَالظُّلَّةِ وَلَا مِنْ أَنَّ بَعْضَهَا كَالْوَجْهِ أَضْوَأَ مِنْ بَعْضٍ كَذَا حَقَّقَهُ ابْنُ حَجَرٍ". اهـ

وفي الصحيحين أيضًا عَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: "كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدُورُ وَتَدْنُو، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ مِنْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: **"تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ""**

قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٥٤):

"فمرة أخبر ﷺ عن نزول السكينة، ومرة أخرى عن نزول الملائكة، فدل على أنَّ السكينة كانت في تلك الظلة وأنها تنزل أبدًا مع الملائكة، والله أعلم". اهـ

وهذا أمر ملموس محسوس، فتجد السكينة تتنزل على البيت الذي يكثر فيه من ذكر الله، وإذا تنزلت الملائكة ومعها السكينة على بيتٍ نشأ الأولاد على الصلاح ونشأوا نشأةً طيبة مباركة، فيألفون سماع القرآن، وتَطْرُقُ قلوبَهم المواعظُ الإيمانية من كثرة الاستماع للمحاضرات والدروس العلمية، فيصلح حالهم بإذن الله عز وجل.

فلِذكر الله في البيت أثره البالغ في صلاح الأهل والذرية ويكفي من ذلك أنَّ الله مع من ذكره كما في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

" يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ"

ومن كان الله معه، أصلح الله حاله وأهله وعياله، ورزقه الذرية الصالحة والله الموفق إلى كل خير.

وفي فضائل القرآن للفريابي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **" وَإِنَّ الْبَيْتَ لَيُتْلَى فِيهِ الْقُرْآنُ فَيَتَرَاءَى لأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تَتَرَاءَى النُّجُومُ لأَهْلِ الأَرْضِ "**

[صححه العلامة الألباني في الصحيحة (٣١١٢)]

وهذا فضلٌ عظيم ورفعةٌ عالية، يَمُنُّ الله بها على كل بيت يُكْثِرُ أهله من تلاوة القرآن، فإنَّه وإن خفي هذا البيت على أهل الأرض فإنَّه يُعرَف لأهل السماء، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿**وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ**﴾ [سورة الزخرف:٤٤]. أي لشرفٌ لك ولقومك.

وأيُ شرف أعظم من أن يكون البيتُ الذي يتلى فيه القرآن معروفًا لأهل السماء، يرون نوره وضياءه، فهنيئًا لأهل القرآن.

ومن إحياء البيت بذكر الله، أن يكثر فيه من صلاة النافلة لقول النبي ﷺ:

"صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلاَةِ صَلاَةُ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا المَكْتُوبَةَ".

[متفق عليه من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه]

وعنه أيضًا: **"صَلاَةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَتِهِ فِي مَسْجِدِي هَذَا إِلاَّ الْمَكْتُوبَةَ"**

[رواه أبو داود وصححه الألباني]

قال العلامة العثيمين في فتاوى نور على الدرب:

"والحكمة من كون صلاة النافلة في البيت أفضل ألَّا يجعل بيته مقبرة لا يصلى فيه والصلاة كلها بركة، ثانيًا أن يعود أهله على الصلاة، ولذلك تجد الصبي إذا رأى والده يصلى ذهب يصلى إلى جنبه يقوم معه ويركع معه ويسجد معه ويقعد معه وإن كان لا يقول شيئًا ولكن يقلد، وهذه غنيمة أن تعوِّدَ أهلك على الصلاة". اهـ

فصـــــلٌ:

فإذا علمت هذا؛ فاعلم أنَّ فساد أكثر البنات والبنين؛ كان بسبب أنَّ آبائهم أهملوا إحياء البيت بذكر الله، واستعاضوا عن ذلك بإدخال التلافز والدشوش مما أثَّر على الأولاد سلبًا، وأفسد أخلاقهم وأحوالهم وساءت تربيتهم بسبب ذلك المعلم – التلفاز–الذي أصبح الأولاد عاكفين أمامه ليلاً ونهارًا.

فنحن إذ نقول: إنه ينبغي إحياء البيت بذكر الله؛ فإنه يجب عليك مع ذلك إخراج ما يُغْضِبُ الله، من تلفازٍ أو دشٍ فإنه لا يجتمع ذكر الله مع آلات الفساد ومزامير الشيطان فإذا دخل ذاك خرج هذا وإذا دخل هذا خرج ذاك.

وإنَّ من أعظم ما يجنيه الآباء على الأبناء هو إفسادهم بهذه الدشوش والتلافز، وهذا والله من سوء الرعاية، ومن خيانة الأمانة التي حمَّلهم الله إياها، وهو غشٌّ ظاهرٌ لهذه الذرية، ولا يجهل ذلك إلا من انتكست فطرته.

وقد ورد الوعيد الشديد فيمن كان هكذا حاله، فقد روى الإمام البخاري ومسلم من حديث معقل بن يسار أنَّ النبي ﷺ قال **"مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ"**

وفي لفظ لهما **"مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ"**

وهذا -والله- وعيدٌ شديدٌ لمن كان يخاف عذاب الله ويخشى عقابه.

ولهذا قال العلامة العثيمين في إحدى خطبه[1]:

"وعلى هذا فمن مات وقد خلَّف في بيته شيئا من صحون الاستقبال -الدشوش- فإنه قد مات وهو غاش لرعيته، وسوف يحرم من الجنة، كما جاء في الحديث، ولهذا

(١) جزء من الخطبة الثانية ألقاها فضيلته يوم الجمعة ٢٥ ربيع الأول عام١٤١٧هجرية. وفرغها أحد الأخوة في إحدى الشبكات فجزاه الله خيرا.

نقول: إنَّ أي معصية تترتب على هذا "الدش" الذي ركبه الإنسان قبل موته، فإنَّ عليه وزرها بعد موته وإن طال الزمن وكثرت المعاصي.

فاحذر أخي المسلم، احذر أن تخلف بعدك ما يكون إثمًا عليك في قبرك؟

فاحذر أخي المسلم أن تخلف بعدك ما يكون إثمًا عليك في قبرك، وما كان عندك من هذه الدشوش فإنَّ الواجب عليك أن تكسره؛ لأنَّه لا يمكن الانتفاع به إلا في وجه محرم غالبًا، لا يمكن بيعه؛ لأنك إذا بعته سلطت المشتري على استعماله في معصية الله، وحينئذ تكون ممن أعان على الإثم والعدوان، وكذلك إن وهبته، فأنت معين على الإثم والعدوان، ولا طريقة للتوبة من ذلك قبل الموت إلا بتكسير هذه الآلة (الدش) التي حصل فيها من الشر والبلاء ما هو معلوم اليوم للعام والخاص..... احذر.. احذر.. احذر، فإنَّ إثمها ستبوء به وسوف يجري عليك بعد موتك، نسأل الله العافية... ". اهـ

وفي فتاوى الشيخ ابن باز رحمه الله (١٠/ ٣٣٥):

"فقد شاع في هذه الأيام بين الناس ما يسمى: (بالدش) أو بأسماء أخرى، وأنَّه ينقل جميع ما يبث في العالم من أنواع الفتن والفساد والعقائد الباطلة والدعوة إلى أنواع الكفر والإلحاد، مع ما يبثه من الصور النسائية ومجالس الخمر والفساد وسائر أنواع الشر الموجودة في الخارج بواسطة التلفاز. وثبت لدي أنَّه قد استعمله الكثير من الناس، وأنَّ آلاته تباع وتصنع في البلاد فلهذا وجب عليَّ التنبيه على خطورته ووجوب محاربته والحذر منه وتحريم استعماله في البيوت وغيرها، وتحريم بيعه

وشرائه وصنعته أيضا لما في ذلك من الضرر العظيم والفساد الكبير والتعاون على الإثم والعدوان، ونشر الكفر والفساد بين المسلمين والدعوة إلى ذلك بالقول والعمل". اهـ

فصـــــلٌ:

كيف بمن يقول: إنَّه لم يشترِ الدش إلا لمعرفة الأخبار فقط؟

الجواب:

قال العلامة العثيمين في لقاء الباب المفتوح (١٢٣) وهو يرد على من يقول: إنه إنما اقتناه لسماع الأخبار وما فيه من الخير حيث قال:

"لا شك أنَّ الراديو والتلفاز وما جاء بعده من التلفاز العام -البث العام- الذي يُتَوَصَّل إليه بالدشوش لا شك أنَّه يَبُثُّ أشياء تدمر العقيدة والأخلاق والمعاملات؛ ولكن هذا ليس على سبيل العموم، إنما بالتتبع والأخبار عن هذه الأشياء العامة التي تُبَثُّ من بلاد بعيدة بواسطة الدش المسموع: أنَّ ضررها أكثر بكثير من نفعها، والإنسان العاقل الذي يعرف موارد الشريعة ومصادر الشريعة لا يشك في أنَّ اقتناءها حرام. الآن بعدما عرفنا ما يبث فيها من أخلاق سافلة، لا يفعلها ولا الحمير، أخلاق مدمرة للشباب والشابات، فأنا من هذا المكان وفي كل مكان أقول: إنها حرام، وأنه لا يجوز اقتناؤها؛ لأنَّ الذين يقتنونها الآن غالبهم لا يقتنونها إلا للشر والاطلاع على ما يكون فيها من البلاء وإثارة الشهوة، وربما يكون الإنسان ضعيف

الجنس -جنس الشهوة-فيتوصل إلى تقويتها بما يشاهده من المشاهد الفاسدة لينال شهوته، ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٤]

وقد قال الله تعالى عن الذين كفروا إنَّهم ﴿ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢]

أقول: مع الأسف الشديد إنَّ هذه الدشوش انتشرت انتشارًا فظيعًا، انتشار النار في الهشيم، وأصبح كثيرٌ من الناس يقتنيها الآن ولا يدرون ما عاقبتها، ولكني بما سمعتُ من أخبارها وما يُنْشَر فيها أقول: إنَّها حرام. وإذا قدَّرنا أنَّ فيها فائدة من مائة مضرة، فالله يقول في القرآن الكريم: ﴿ * يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ٢١٩]، إثم مفرد ومنافع للناس كثيرة، ومنافع صيغة منتهى الجموع، يعني: أكثر ما يكون من الجمع، ﴿ وَإِثْمُهُمَآ ﴾ وهو واحد ﴿ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ وحرمهما الله عز وجل؛ لأنَّ الإثم أكبر مع أنَّ المنافع كثيرة. الإثم الذي يحصل بهذا الدش، ولو قدرنا أنَّه يحصل فيه مشاهد عظيمة كثيرة من منافع، لو قدرنا أنَّه -مثلاً- نُشاهد فيه معارك المسلمين مع الكفار، نشاهد فيه الحج، ونُشاهد فيه الجمعة، ونستمع إلى خطبة الجمعة، ونشاهد فيه محاضرات قيمة نافعة... إلى آخره، هذه منافع كثيرة؛ لكنَّ ضررًا واحدًا كبيرًا يدمر الخلق، هو نظير الخمر والميسر، ما دام أنَّ هذه المضرة والمفسدة الواحدة تدمر أخلاقًا كثيرةً كما في القول بالتحريم. لذلك أنا أنصح كل إنسان عنده من هذا الدش شيئًا أن يكسِّره ابتغاء

رضوان الله عز وجل حتى يقطع عن نفسه الرجوع إليه مرة أخرى. ولنا في سليمان بن داود أحد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أسوة لَمَّا أَلْهَتْه الخيل عن ذكر الله ماذا صنع؟ قال: ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ص: ٣٣].

بعضُها يعقرها وبعضها يقطع عنقها؛ لئلا تدعوه نفسه إلى الاشتغال بها مرة أخرى. وكعب بن مالك رضي الله عنه لما جاءته الورقة؛ وثيقة من ملك غسان يقول -لما بلغه أنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام هجره لتخلفه عن غزوة تبوك جاءه كتاب من ملك غسان -يقول: [الحق بنا نواسِك، قد بلغنا أنَّ صاحبَك قلاك -إثارة- بلغنا أنَّ صاحبَك قلاك -يعني: يثيره ثم يرغِّبه- الحق بنا نواسك] يعني: نجعلك مثلنا ملكًا، ماذا صنع رضي الله عنه؟ أخذ الورقة وذهب يوقدها في التنور؛ حتى لا تحدثه نفسه بعد أن يأخذ هذه الوثيقة ويذهب بها إلى هذا الرجل ويقول: أنت قلت: الحق بنا نواسك، اجعل لي من ملكك نصيبًا. فالحاصل -يا أخي- أني أقول لك، ولِمَن يسمع، ولِمَن سمع، أقول: إنَّ الإنسان يجب عليه أن يتقي الفتنة ما استطاع، ويدعها". اهـ

فالعاقل من جنَّب نفسه وأهله مواضع الفتن وما يجر إلى الفساد، وعَمِلَ على صيانة أهله وأولاده مما يمسخ فطرهم، وما رأينا مثل هذا التلفاز الذي مسخ فطر كثير من النساء والرجال، وأخرب عقولهم. والله المستعان.(١)

(١) وفي زماننا هذا نافسه على ذلك التلفونات اللمس، التي مكَّن الآباء أبناءهم منها ففسد من فسد منهم والله النستعان.

الخطوة العاشرة

تجنيبه المدارس ذكرًا كان أو أنثى، والأنثى أشد

وما ذاك إلا لفساد هذه المدارس التي رأينا تأثيرها السلبي على كثير من البنين والبنات، ففي الوقت الذي يُرسِلُ الوالدان ابنهما وابنتهما إلى المدرسة ليتعلما الأخلاق -في حد زعمهم-، وإذا بهاذين الوالدين يصطدمان بواقعٍ أليمٍ، وأنَّ ابنهم أو ابنتهم قد تعلما أمورًا تعود عليهم بالضرر جميعًا.

○ ومن هذه الأمور التي نذكرها دون استرسال فيها:

١ـ تعليمهم الاختلاط بين البنين والبنات

ويبدأ ذلك من الروضة والتمهيدي، حتى يتخرجوا من الجامعة، ويألفون على هذا الوضع المزري، وهذا الاختلاط الذي يؤدي إلى انتشار الرذائل، وسوء الأخلاق، وتفسخ الأسر، وفساد المجتمعات.

ومن نظر إلى واقعنا بعين الإنصاف وجد ذلك.

قال العلَّامة بكر أبو زيد في كتابه حراسة الفضيلة (٨٥)، وهو يتكلم عن البدايات المضِلَّة للأولاد، والتي تسبب فسادهم:

"**٣ / الاختلاط في رياض الأطفال:** هذه أولى بدايات الاختلاط خارج البيوت، وإذا كان الاختلاط في المضاجع بين الأولاد -وهم إخوة- داخل البيوت بإشراف آبائهم مما نهى عنه الشرع، فكيف به خارج البيوت مع غياب رقابة الوالدين؟!! فليتق الله الوالدان من الزجّ بأولادهم في هذه المحاضن المختلطة". اهـ

وقال هو يتحدث عن المدارس:

"ولهذا في أهل الإسلام لا عهد لهم باختلاط نسائهم بالرجال الأجانب عنهن، وإنَّما حصلت أول شرارة قدحت للاختلاط على أرض الإسلام من خلال: المدارس الاستعمارية الأجنبية والعالمية، التي فتحت أول ما فتحت في بلاد الإسلام في: (لبنان) كما بينته في كتاب "المدارس الاستعمارية -الأجنبية العالمية- تاريخها ومخاطرها على الأمة الإسلامية" .

وقد عُلِمَ تاريخيًا أنَّ ذلك من أقوى الوسائل لإذلال الرعايا وإخضاعها، بتضييع مقومات كرامتها، وتجريدها من الفضائل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

اهـ

قلت: ومما يدل على سوءِ النية، وفسادِ الطويَّة؛ أنَّهم في تلك المدارس يجعلون على فصول البنين مُدَرِّسَةً تدرِّسُهم، وعلى فصول البنات مدرسًا يدرِّسهنَّ، مما يدل دلالة قوية على أنَّهم يسعون سعيًا حثيثًا لتطبيع الاختلاط، وجعله مستساغًا للنفوس، وتربية النشءِ على حب الاختلاط بين الجنسين ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد أفتت اللجنة الدائمة برئاسة العلامة ابن باز بتحريم التعليم المختلط، وردَّت على من تحجج باختلاط النساء مع الرجال في المسجد الحرم عند الطواف فقالت:

«**أولًا**: اختلاط الرجال والنساء في التعليم حرامٌ ومنكرٌ عظيم؛ لما فيه من الفتنة وانتشار الفساد، وانتهاك الحرمات، وما وقع بسبب هذا الاختلاط من الشر والفساد الخلقي من أقوى الأدلة على تحريمه.

أما قياس ذلك على الطواف بالبيت الحرام فهو قياس مع الفارق، فإنَّ النساء كن يطفن في عهد النبي ﷺ من وراء الرجال متسترات، لا يداخلنهم ولا يختلطن بهم، وكذا حالهن مع الرجال في مصلى العيد، فإنَّهن كن يخرجن متسترات، ويجلسن خلف الرجال في المصلى، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب الرجال خطبة العيد انصرف إلى النساء، فذكرهن ووعظهن، فلم يكن اختلاط بين الرجال والنساء، وكذا الحال في حضورهن الصلوات في المساجد، كن يخرجن متلفعات بمروطهن، ويصلين خلف الرجال، لا تخالط صفوفهن صفوف الرجال. ونسأل الله أن يوفق المسئولين في الحكومات الإسلامية للقضاء على الاختلاط في التعليم، ويصلح أحوالهم، إنَّه سميع مجيب». اهـ [فتاوى اللجنة الدائمة (١٢/١٦٥)]

قلت: وهذا عامٌ؛ سواء كانت البنات في المراحل الإعدادية أو الابتدائية، فكله من الاختلاط الذي لا يجوز.

قال العلامة ابن باز رحمه الله **(٨/ ٢٢٩)**:

«فقد اطلعت على ما كتبه بعض الكتاب في جريدة الجزيرة بعددها رقم **٣٧٥٤** وتاريخ **١٥ / ٤ / ١٤٠٣** هـ الذي اقترح فيه اختلاط الذكور والإناث في الدراسة

بالمرحلة الابتدائية، ولما يترتب على اقتراحه من عواقب وخيمة رأيت التنبيه على ذلك فأقول:

إنَّ الاختلاط وسيلة لشر كثير وفساد كبير لا يجوز فعله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع وإنما أمر صلى الله عليه وسلم بالتفريق بينهم في المضاجع لأنَّ قرب أحدهما من الآخر في سن العاشرة وما بعدها وسيلة لوقوع الفاحشة بسبب اختلاط البنين والبنات، ولا شك أنَّ اجتماعهم في المرحلة الابتدائية كل يوم وسيلة لذلك كما أنَّه وسيلة للاختلاط فيما بعد ذلك من المراحل.

وبكل حال فاختلاط البنين والبنات في المراحل الابتدائية منكر لا يجوز فعله لما يترتب عليه من أنواع الشرور. وقد جاءت الشريعة الكاملة بوجوب سد الذرائع المفضية إلى الشرك والمعاصي وقد دل على ذلك دلائل كثيرة من الآيات والأحاديث، ولولا ما في ذلك من الإطالة لذكرت كثيرا منها. وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه " إعلام الموقعين " منها تسعة وتسعين دليلا. ونصيحتي للكاتب وغيره ألا يقترحوا ما يفتح على المسلمين أبواب شر قد أغلقت. نسأل الله للجميع الهداية والتوفيق ». اهـ

٢. تعليمهم الغناء والرقص

فبدلًا من أن يعلموا الأولاد حفظ كتاب الله، والأخلاق الفاضلة، ونبذ

المخالفات لدين الله، علموهم ما تفسد به أخلاقهم من الرقص والغناء سواء في الحفلات المتكررة للتكريم، أو في عيد المعلم، أو في حِصَّة ما يسمونها بالترفيه والألعاب أو بغير ذلك.

بل يفتحون لهم الأغاني والأناشيد من قبل صعودهم إلى المدرسة، فتجد الأغاني التي يسمونها الوطنية تشتعل في ميكرفون المدرسة، ثم لا يدخلون الفصول إلا على وقع الأغاني والطبول، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سُئِلَ العلّامة العثيمين عن رياض الأطفال التي تعلِّم الأطفال الرقص فأجاب:

"يأثم الإنسان إذا أدخل أولاده هذه الروضة؛ لأنَّ الرقص والموسيقى حرام، وإنني أوجه كلمتي إلى المسئولين عن هذه الرياض بأن يتقوا الله سبحانه وتعالى في أطفال المسلمين، وألا يعودوهم على ما حرم الله ورسوله، فإنَّ المعازف حرام لما رواه البخاري في صحيحه عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال:

« **لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ**»، فأقول لهؤلاء: ليتقوا الله في أنفسهم وفي شباب المسلمين وليربوهم على التربية الإسلامية.

أما بالنسبة للشعب فأنا أنصحهم وأحذرهم من إدخال أولادهم في هذه الرياض، فإنهم آثمون معينون على الإثم والعدوان، ويوشك ألا يبرهم أولادهم إذا كبروا، وألا يدعوا لهم إذا ماتوا؛ لأنَّهم عصوا الله عز وجل فيهم، فيوشك أن يجعل الله

هؤلاء يعصون آباءهم كما عصى آباؤهم الله فيهم، ويُسلطون عليهم. أقول: بارك الله فيك لا يجوز أن تدخل أولادك في هذه الرياض". اهـ

[سلسلة لقاءات الباب المفتوح(٤٠)]

قلت: وهكذا حال كثيرٍ من المدارس، يعلمون البنات والبنين الغناء، والرقص والتطبيل، والتزمير، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣. تلقيهم التعليم على أيدي مدرسين ومدرساتٍ الله أعلم بحالهم.

فبعضهم رافضي خبيث، وبعضهم صوفي، وبعضهم اشتراكي، وبعضهم إخواني جلد، وبعضهم يحمل الفكر العلماني، وبعضهم مغترٌّ بالحضارة الغربية ويدعو إلى التحضر المزعوم، وغيرها من العقائد الفاسدة فيدسون لهم السم في العسل -كما يقال في الأمثال-، فيُفْسِدُون عليهم أعز ما يملكون وهو دينهم، فكيف بالله عليك تُسْلِم ولدك وابنتك لمن لا يخاف الله فيهم.

ومن يَكُنِ الغُرَابُ لَه دَلِيلاً ... يمُرُ بِه عَلى جِيَفِ الكِلابِ

وكم رأينا من مُدَرِّسَاتٍ يُعَلِّمْنَ البنات التفسخ، ويحثَّهنَّ على نزع الحجاب والتحضر بالحضارة الغربية، وترك الحجاب الشرعي.

وكم سمعنا عن بعض المدرِّسات التي إذا رأت البنت قد تزينت بالحجاب الشرعي، ثارت حفيظتها، وجنَّ جنونُها؛ لماذا يسمحون لهذه المتخلفة -في حد زعمها- بالدخول، وقد تطردها من حصَّتها، وربما هضمتها في درجاتها حقدًا وحسدًا.

فكيف بالله عليكم نثق بمثل هؤلاء أن يُربُّوا أبناءنا وبناتنا، ونسلِّم لهم فلذات أكبادنا يغتالون فِطرهم كيف شاءوا.

وما أجمل قول القرطبي فيما مرَّ بنا:

"وقوله: "**وإنَّهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم** " يعني: شياطين الإنس من الآباء **والمعلِّمين بتعليمهم وتدريبهم**، وشياطين الجن بوساوسهم. ومعنى اجتالتهم: أي: صرفتهم عن مقتضى الفطرة الأصلية ". اهـ

وهذا هو فعل كثير من المدرسين والمدرسات -إلا من رحم الله-ممن تأثروا بالحضارة الغربية التي تدعوا إلى تفسخ المرأة، والسعي إلى صرفِ المسلمين عن تعاليم دينهم والأخلاق التي دعا إليها ديننا الحنيف، ولفتِ أنظار البنين والبنات إلى ما عليه الغرب من الرذائل والمنكرات، وإيهام الناس أنَّ هذا هو التقدم.

وإيهامهم أنَّ الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة والرجوع إلى ما كان عليه سلفنا الصالح؛ دعوة إلى التخلف والرجعية.

وهذه من أعظم الخطوات التي سعى الغرب في دسِّها في أوساط المسلمين لتنفيرهم عن دينهم بأسلوب عصري، يَظْهُرُون فيه أنهم يريدون الخير، ونشر التعليم في أوساط البنات والبنين، وهم بذلك يهدمون الأخلاق من حيث لا يشعر الآباء والأمهات.

ولهذا كم تجد من الجهود التي تُبذل من أعداء الدين من اليهود والنصارى، ومن تأثر بهم، والتي بذلوا فيها قصارى جهدهم لإخراج الفتيات العفيفات من بيوتهن

وإلحاقهن بالمدارس، وما أرادوا بذلك نفعها، وإنما أرادوا هتك عرضها ونزع حيائها، ولهذا عملوا الإغراءات للآباء، وجعلوا لمن يُدخِلُ ابنته في المدارس؛ لكل بنت كذا وكذا من البُر والدقيق، وكذا وكذا من الزيت، وكذا وكذا من السكر، فهل تفكَّر المسلمون لماذا يبذلُ الغربُ كلَ هذه الأموال لتشجيع الفتيات على الدراسة في المدارس والجامعات؟، **وهل تفطن المسلمون لما يُحاك لشباب المسلمين وبناتهم؟**

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًا ولكن لا حياةَ لمن تنادي
ولو نارًا نفختَ بها أضاءتْ ولكن أنتَ تنفخُ في رمادِ

٤. احتكاكهم بأصدقاء السوء الذين يفسدونهم.

فكم رأينا من فتاة كانت على الخير والهدى فلما التحقت بالمدرسة تعرفت على صديقات سوءٍ فاسداتٍ، فطفقن يتعلمن منهن، فما هي إلا أيام وإذا بها تلتحق بركب الفساد وتصير مثلهن إلا من تداركها الله برحمته منهن، وقد أحسن من قال:

واحذرْ معاشَرةَ الدنيءِ فإنها تُعدي كما يعدي الصحيحَ الأجربُ

٥. إبعاد الطلاب عن لغتهم العربية وشغلهم باللغات الأجنبية واهتمامهم بها، وهذا أمرٌ ملاحظٌ يأتي ذكره بعد صفحات.

٦. إلزامهم الطلاب بلُبس البنطال الذي فيه مخالفات كثيرة، وفي الوقت

نفسه فإنَّهم يمنعونهم من لبس القُمُص التي رغَّب النبي ﷺ في لبسها، والمعاوز التي يتزيَّا بها أكثر الصالحين، بل ويهددون من لبسها بأنَّه سيُطرد من المدرسة،

وسيُحرم من الدراسة؛ إن لم يلبس البنطال، ويترك هذا الذي يسمونه: تخلُّفًا!! من القميص والإزار، بل ويلمزونه بأنَّه لباس الغجر، ويقولون لِمن لبسه مستهزئين: مِنْ فوق العُدَّة إلى المدرسة(١).

وتالله إنَّها لقاصمة الظهر؛ أن يُوصَف من أراد أن يلبس لباس السنة؛ بأنَّه متخلِّفٌ ورجعي، وأنه بدويٌّ لا يفهم.

ولا يعلمون أنَّهم بذلك يلمزون ويغمِزون رسول الله ﷺ وأصحابه؛ الذين كانوا على هذا اللباس؛ الذي كان من لباس العرب، وغاب عنهم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ۝٣٣﴾ [سورة المطففين:٢٩-٣٣].

ثم زد على ذلك أنَّهم يفتخرون باللباس الذي جاءنا من أعداءِنا، **فجمعوا بين منكرين عظيمين:** مشابهة أعداء الله، والسخرية بالمؤمنين، وهذه الأخيرة لعمر الله أعظم المنكرين. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٧. صرفهم عن تعلم القرآن والسنة وشغلهم بالعلوم الدنيوية

(١) أي هذا زي الرعاة والذين يحرثون الأرض، ولا يليق بطالب متحضِّرٍ -بحد زعمهم-، يريد أن يلحق بركبِ الغرب المتقدم!!!.

ولذلك تجدهم في المدارس يأتون بكتاب صغيرٍ جدًا للقرآن ومثله لعلوم القرآن، وإذا رأيت كتب الرياضيات والفيزياء والكيمياء وغيرها مما يسمونها بالمواد العلمية؛ رأيت كتابًا ضخمًا وقد يتكون من كتاب ضخمٍ للمدرسة وكتابٍ آخر للواجب.

حتى في الجامعات يسمون اللغة العربية وكتب الدين الإسلامي بالمتطلب، يعني حتى ولو سَقَطْتَ فيها ورَسِبْتَ فليس بمهم، المهم المواد العلمية، وهذا يكون في أول سنةٍ ثم يحذفونها من بقية المستويات.

وجاء في موسوعة المذاهب وهو يتكلم عن انتشار الشيوعية في بلاد الإسلام:

«١١ - تركيز الغرب على إفساد التعليم والإعلام والمرأة: فشوه الإعلام صورة الإسلام وعلمائه، وروج للعري والإباحية والفوضى الجنسية، فغرق كثير من الشباب في هذا المستنقع الآسن، والشيوعية لا تُفَرِّخ إلا بمثل ذلك الجو.

ثم إنَّ الطعنة النجلاء، والخنجر المسموم هو فساد التعليم، ومناهجه الدراسية، حيث قطعت صلة الطلاب برب الأرباب، وأصبحت مناهج الدين في زاوية ضيقة محدودة، فانفتح المجال على مصراعيه للشيوعية؛ حيث زاحمت علومها علوم الدين، بل أقصتها جانباً، ونَحَّتْها عن مجال التأثير؛ فشاع الجهل بالدين، وسهل دخول الأفكار المضللة إلى العقول». اهـ

٨. تعليمهم العقائد المخالفة والمفاهيم الخاطئة.

- **كما يعلمون الأولاد نشيدًا فيه:**

الله في البر الله في البحر الله في كل مكان

وهذه عقيدة الحلولية من الصوفية وغيرهم، وهي عقيدة مخالفة لعقيدة أهل السنة، فإنَّ هؤلاء يقصدون أنَّ الله في كل مكان بذاته سبحانه، تنزه وتقدس عن ذلك.

- **ومن ذلك "نظرية دارون" التي كانت تُدَرَّس في المدارس**، وهي أنَّ أصل الإنسان كان قردًا، ثم تطور إلى ما هو عليه الآن.

يعنون بهذا أنَّ الذي خلق الإنسان هو الطبيعة، وهي التي ساعدت في تطور مراحل الإنسان حتى صار على هذه الصورة الجميلة.

- **ومنها نظرية التطور التي يأخذونها في كتاب الأحياء**: وهي تقوم على

أسس ثلاثة كما يزعمون وهي: التوالد الذاتي، والتناحر للبقاء فيحدث صراع بين كائنات الطبيعة لكي تبقى، والانتخاب الطبيعي فتختار الطبيعة للبقاء من الكائنات لها صفات تؤهلها لذلك.

فليت شعري بأي عقولٍ يتقبَّل المسلمون مثل هذا الكلام الكفري.

قال العلامة ابن باز:

«نظرية دارون تقول : الإنسان أصله قرد ، وإنَّ ابن آدم حيوان ينطق وكلنا حيوان ، فالله خلق لابن آدم حياة وجعل له عقلا ونطقا ، ولكن هذه النظرية الخبيثة باطلة بإجماع أهل العلم ، فالقردة أمة من الأمم ، والكلاب أمة من الأمم ، والخنازير أمة من الأمم ، والقطط أمة من الأمم ، وهكذا الأسود والنمور والفهود وغيرهما ، أما الإنسان فهو حيوان مستقل ناطق عاقل ، خلقه الله من ماء مهين ، وأبونا آدم -عليه

الصلاة والسلام -خلقه الله من طين ، فهو حيوان مستقل وأمة من الأمم قائمة وهم بنو آدم ، والجن أيضا أمة قائمة خلقوا من مارج من نار ، وكل نوع من الحيوان أمة قائمة حتى النمل أمة ». اهـ [من مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٧٤)]

- **ومن ذلك قولهم: "إنَّ المادة لا تفنى ولا تُستَحدث".**

وقد قال العلامة العثيمين:

"القول بأنَّ المادة لا تفنى وأنَّها لم تخلق من عدم كفرٌ، لا يمكن أن يقوله مؤمن، فكل شيء في السماوات والأرض سوى الله فهو مخلوق من عدم كما قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾... وأما كونها لا تفنى فإن عنى بذلك أنَّ كل شيء لا يفنى لذاته فهذا أيضًا خطأ وليس بصواب ؛ لأنَّ كل شيء موجود فهو قابل للفناء... لكن هذه الكلمة المطلقة " المادة ليس لها أصل في الوجود وليس لها أصل في البقاء " هذه على إطلاقها كلمة إلحادية". اهـ [مجموع الفتاوى (٣/ ١٣٠)]

- **ومن ذلك تعليق الأولاد بالثورات والانقلابات.**

فهم في كل طابورٍ صباحي يجعلونهم يزعقون بقولهم: **" الله الوطن الثورة"**

وهذا لفظ يدخله الشرك، **سواء الأصغر** من جهة اللفظ؛ إن قرنوه بالله، ولم يقصدوا معناه.

وقد يصل بهم **إلى الشرك الأكبر**؛ إذا عظَّموا الوطن والثورة كتعظيمهم لله، وجعلوا منزلة الوطن كمنزلة الله، فهذا شرك أكبر مخرج من مِلَّةِ الإسلام.

ففي هذه المدارس يغرسون في قلوب الأولاد حب الثورات والانقلابات، وتعظيم الأوطان، والافتخار بالعروبة، والقومية، من دون الإسلام.

- **ومنها وقوفهم وتعظيمهم الشديد للعَلَم:**

وقد وسئلت اللجنة الدائمة برئاسة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

«هل يجوز الوقوف تعظيما لأي سلام وطني أو علم وطني؟

فكان الجواب: لا يجوز للمسلم القيام إعظامًا لأي علم وطني، أو سلام وطني بل هو من البدع المنكرة التي لم تكن في عهد رسول الله ﷺ، ولا في عهد خلفائه الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهي منافية لكمال التوحيد الواجب، وإخلاص التعظيم لله وحده، وذريعة إلى الشرك، وفيها مشابهة للكفار وتقليد لهم في عاداتهم القبيحة ومجاراة لهم في غلوهم في رؤسائهم ومراسيمهم، وقد نهى النبي ﷺ عن مشابهتهم أو التشبه بهم وبالله التوفيق ». اهـ [فتوى رقم (٢١٢٣)]

- **ومنها إشغالهم باللغات الإنجليزية وغيرها من اللغات،** واهتمامهم بها أشد من اهتمامهم باللغة العربية.

وهذا وإن كان الناس يرونه طبيعيًا فإنَّ المغزى من خلفه يظهر شنيعًا، فإنَّهم بذلك يسعون إلى تغريب أفكار هؤلاء الطلاب وربطهم بالغرب، وحبه للغتهم يجعله يميل إليهم شيئًا فشيئًا، ولهذا تجد الطالب في الثانوية أو دون ذلك؛ في عطلة المدارس يلتحق بأحد المعاهد الأجنبية؛ لتلقي الدورات في اللغة الإنجليزية، والتي تجعله

يبزغُ في هذه اللغة، وهذا ما هدف إليه أعداء الدين، من ربط المسلمين بالغرب والتأثر بهم عن طريق ربطهم بلغةِ العصر كما يقولون.

« **يقول المبشِّر**[١] **"تكلى"**: "يجب أن نشجع إنشاء المدارس، وأن نشجع على الأخص التعليم الغربي. **إنَّ كثيرًا من المسلمين قد زُعْزِعَ اعتقادُهم حينما تعلموا اللغة الإنجليزية"...**

فهذه المدارس صاغت أخلاق التلاميذ وكوَّنت أذواقهم، والأهم أنَّها علمتهم اللغات الأوروبية التي جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوروبي، فصاروا مستعدين للتأثر بالمؤثرات التي احتكوا بها أيام الطفولة ...

إضافة إلى أثر اللغة التي يتعلم بها؛ فثمة علاقة قوية بين اللغة والتكوين العقلي والنظرة إلى الوجود أثبتتها الدراسات الحديثة في علم اللسان، "فأسلوب الاستجابات والمواقف في مجتمع من المجتمعات يرتبط ارتباطاً وثيقاً باللغة والفكر؛ " وعلى هذا فإنَّ الصِّيغ تؤثر في الذهن وتنظم التفكير بشكل معين". والبناء اللغوي الذي يتلقاه الفرد من محيطه مسؤول مسؤولية مباشرة عن الطريقة التي ينظم بها نظرته إلى العالم...

---

(١) والمبشر هو الذي يدعو إلى النصرانية، والتبشير هو عين التنصير، واتخذوا هذا الاسم تدليسًا وخداعًا للمسلمين بأنهم يبشرون الناس بالسلام والرحمة وغير ذلك، وهم من أفجر خلق الله، قاتلهم الله.

وقد أشارت بعض الصحف والمجلات إلى ضعف قضية الولاء لدى خريجي هذه المدارس والجامعات، سواء على مستوى الدين أو على مستوى الدولة أو على مستوى المجتمع». [١]

فلهذا تجد كثيرًا من الشباب الذي درس اللغات الأجنبية وأتقنها؛ تجده يشغف ويرغب كثيرًا في السفر إلى الخارج ثم الالتحاق بالعمل لدى إحدى الشركات الأجنبية، وهذه خطوة سعى لها أعداؤنا بقوة كذلك.

وفي موسوعة الغزو الفكري (٢/ ٤٧٠):

«لقد زاد من اتساع الهوة بين الشباب وبين هويته الأصلية؛ أنَّ هذه المدارس ربطت نفسها بمنظومة مستمرة لا تدع للإنسان قراراً منذ أن يقرع بابها إلا على الموت؛ فهي بعد تنشئته تغرس فيه الطموح إلى السفر إلى الغرب لاستكمال التعليم، كما تضمن له غالبًا وظيفة مرموقة في شركة من الشركات الأجنبية براتب مرتفع لتزداد العلاقة بالمجتمع تصرمًا وانقطاعًا، ثم تفتح له باب الزواج من غربية، ثم تحيطه بإطار واسع ومتشعب من الصداقات والعلاقات الاجتماعية في إطار أعرافها الاجتماعية والثقافية». اهـ

وكل هذا من الكيد المتواصل من قِبَل أعدائنا؛ لإبعادنا عن ديننا الإسلامي الحنيف، وإلا فمِن أين دخلت الديمقراطية إلى بلاد المسلمين، ثم تبعتها الدعوة إلى المدنية، ثم قاصمة الظهر العلمانية، التي صار يدعو إليها الكثير ممن ينتسبون إلى دين

---

[١] موسوعة الغزو الفكري (٩١/٨)

الإسلام، ويصدقُ فيهم حديثُ رسول الله ﷺ حين سأله حذيفة بن اليمان فقال: قُلْتُ -أي لرسول الله-: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**»قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**» متفق عليه.

فكل هذا البلاء الذي دخل على المسلمين؛ كان من أعظم أسبابه البعثات الدراسية إلى دول الغرب، مما غرَّب كثيرًا من أفكار أبناء المسلمين -إلا من رحم الله- فعاد هؤلاء المبتعَثُون إلى بلدانهم؛ وقد تلطخوا بحضارة الغرب المزعومة، فرجعوا ينادون إليها، ويدعون إلى العلمانية وإلى مدنية الغرب الكافر، والله المستعان.

- **ومنها العمل على تشويه معالم الدين عند الطلاب، وإظهار المتمسك بدينه أنه رجعي ومتخلف، ولا يفهم الواقع، وأنه متشدد يرفض التحضر**، وأنَّه وهَّابيٌّ متحجِّرٌ، وأنَّه داعشي وأنَّه إرهابي وأنَّه وأنَّه.

وهذا ركِنَ الغرب في نشره وبثه بين المسلمين إلى من صار متغرِّبًا بأفعاله ممن هو من المسلمين؛ فركِنوا إليه في بثِّه بين الطلاب، فصار يسعى إلى تشويه الدين كثيرٌ من أبناء جِلدتنا ممن هم يُدرِّسون في هذه المدارس -شعروا أو لم يشعروا- وكل ذلك بسبب تلقيهم لهذه المناهج التعليمية التي حيَّدت كتب العقيدة، وركنتها جانبًا، فأُتُوا

من حيثُ لم يكونوا يحتسبون، كل ذلك باسم التحرر الفكري[١]، والتطور، مما تلقَّوه من أعداء الإسلام.

وغير ذلك من البلايا التي في هذه المدارس والتي يصعب سردها كلها في هذا المؤلف القاصر، فهذا قليل من كثير مما يجنيه المسلمون من هذه المدارس.

فأي خير يُجْتَنى من هذه المدارس التي أصبحت تحارب التمسك بالدين، وتدعو إلى التفسخ وهدم القيم، ونبذ الأخلاق، وأصبح كل همهم مجاراة الغرب في التعليم، وهدفهم الوصول إلى ما وصلوا إليه من حضاراتهم المزعومة والله المستعان.

وهناك شريط للشيخ مقبل الوادعي رحمه الله بعنوان "**تحذير الدارس من فتنة المدارس**" وهو جميل في بابه فليرجع إليه للاستزادة في هذا الباب.

فصلٌ: في التلميح لخطر تدريس البنات في المدارس:

إنَّ الناظر إلى واقعنا ليرى العجب العجاب مما وصلت إليه المرأة من جراء تدريسها، وهذا ما هدف إليه أعداء الإسلام؛ الذين سعوا سعيًا حثيثًا لإفساد المرأة المسلمة، وإخراجها من طُهرها والعفاف، وجرِّها إلى أوحال التبرج والسفور، ومنه إلى مستنقع الفجور والزنا. ففكروا وقدَّروا، فقتلوا كيف قدَّروا، فرأوا أنهم لا

(١) ويحاول بعض الكتاب والمفكرين في الوقت الحاضر إحياء فكر المعتزلة من جديد بعد أن عفى عليه الزمن أو كاد.. فألبسوه ثوباً جديداً، وأطلقوا عليه أسماء جديدة مثل... العقلانية أو التنوير أو التجديد أو التحرر الفكري أو التطور أو المعاصرة أو التيار الديني المستنير. الموسوعة الميسرة في الأديان

يستطيعون جرَّ الفتاة إلى الفجور إلا من خلال المطالبة بتدريس الفتاة الذي هو -كما يزعمون- حقٌّ من حقوقها، ففعلوا ذلك، فكان لهم ما أرادوا.

واقرأ معي ما كُتِب قبل قرابة ستين سنة؛ ثم لنرجع لبقية كلامنا:

قال الشيخ محمد بن عبد الله بن حمدان وهو يرد على من قال: (إنَّ تعليم البنات -على الطريقة المتبعة في الخارج -دعوة إلى الانطلاق والتقدم، والعمل لمؤازرة الرجل).

قال الشيخ رحمه الله في خِضَمِّ رده عليه:

«هكذا يصف التعليم الذي نهايته: التبرج والسفور، والانحلال، والرقص، والغناء، والخروج على الأخلاق. ليتكم يا هذا تطالبون بتعليم البنات في حدود ما رسمه الدين الحنيف، وتكتفون بذلك، إذًا لرحبنا بذلك، وأيدناكم؛ ولكنكم تريدون تعليمًا كالتعليم الموجود في الخارج - مجرد تقليد ومحاكاة - ولا تهمكم تعاليم الإسلام التي تأمر بالمحافظة على أخلاق المرأة، وتصون لها عفتها وكرامتها.

لا تريدون هذا، لأنَّه من أعمال الرجعيين!! تريدون لفتياتكم أن ينْزلن بجانب الرجل، في ميادين العمل؛ بل تريدون لهن أن يخرجن نجوما للسينما، والتلفزيون، وغيرهما، وهذا هو التقدم، الذي تتمنون أن تحرزه أمتكم. وهذا خروج على مبادئ الدين الحنيف، ومحاربة للفضيلة، ولا يرضاه الإسلام، بل حذر منه. ورغم أنَّ الإسلام بين أنَّ المرأة عورة، يجب محافظتها على الأخلاق، والتحرز من الاختلاط

بالرجال، فإنَّ أنصار المرأة - أو على الأصح أعداءها - لا يرضيهم هذا، لأنه بحد زعمهم كبت وحبس لها; وهذا ما تلقنوه من أساتذتهم - أسيادهم - الغربيين، وأتباعهم، وقبلته عقولهم الضعيفة.

ثم يقول الكاتب: أرأيت كيف وصلت البلدان التقدمية إلى ما هي عليه الآن من حضارة، وعلم، وتكتيك؟! ولو لم تكن بجانب الرجل تشد أزره، لما نهضت وتقدمت؟!.

وجوابي على هذا التساؤل، أن أقول: نعم رأيت وسمعت، ويا لهول ما سمعت وما رأيت!! رأيت: أنهم تجاوزوا في تعليم فتياتهم، فلم يكتفوا بتعليمهن الدين، وشؤون المنْزل، وتربية الأولاد.

لا؛ لم يكتفوا بذلك، بل خرجوا بهن عن الحدود الموسومة لهن، زاعمين أنَّهم يريدون لهن التحرر، والحضارة والانطلاق؛ فخرجن بذلك عن تعاليم الإسلام، ونزعن برقع الحياء، وتركن الحجاب، واختلطن بالرجال، ونزلن إلى ميادين العمل؛ بل برعن في إجادة الرقص، والغناء، والفجور!! وصار ما يخالف هذا يعد من أعمال الرجعية!! أي حضارة؟! وأي تقدم في هذا الذي وصلت إليه هذه الأمم؟!! **نحمد الله أننا لم نصل بعد -ولن نصل إن شاء الله -إلى هذه الحضارة الزائفة، وهذا التقدم المزعوم!!**[1] ». انتهى كلامه [2]

(١) نشر هذا المقال في مجلة راية الإسلام، سنة ١٣٨٠ هـ.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٩٢)

قلت: كتب الشيخ رحمه الله هذا المقال؛ ومازالت المطالب في أيامه لم تخرج قيد التنفيذ، أما الآن فقد حصل ما كان يُحذِّرُ منه هو وغيره من العلماء، وخلال ستين عامًا حصل من التطور السريع في مراحل التعليم؛ ما قاد المرأة لأن تخوض في ركب مزاحمة الرجال في أعمال هي من خصائص الرجال، كالهندسة والتجارة، وحتى وصل بهن الحال إلى أن شاركن في الشرطة والقيادات العسكرية، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وزاد تطور هذه الطائفة المتعلمة من البنات حتى خرجن مع المنظمات الأجنبية؛ التي نحَرَت ما بقي من عفافها وعِفَّتها. والله المستعان.

و كتب الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله في ذلك أيضًا فقال:

«وما ذكرتَ من خصوص مدارس البنات فمنذ أعوام وهذا الشيء يطلب من الحكومة ونحن مصممون على المنع، والملك حفظه الله كذلك. ولا نزال بحمد الله على ذلك». اهـ كلامه رحمه الله

فكانوا يرفضون تعليم الفتاة؛ لما يعلمون من خطر خوضها هذا الغِمار؛ الذي يقود إلى شرٍ مستطيرٍ؛ يُطيح بكيانها، ويشنق عِفَّتها، ويقتل عفافها، ويستبيح بيضتها، وينسف حياءها نسفًا، مما يعود بالويلات على الأمة الإسلامية، والمسلمين.

بل وهذا ما سارت عليه جميع الأمم؛ من عدم تعليم المرأة في مدارس نظامية.

فلم يوجد في تاريخ البشر قبل القرن الثالث عشر الهجري أُمَّةٌ حاولت إلحاق المرأة بالرجل في المعارف، ولا قبل القرن الرابع عشر إلحاقها به في التكاليف الاجتماعية.

فكان تعليم النساء لا يجاوز به تلقينهن القرآن، وفقه العبادات والمعاشرة وأنواعها من الأدب والأخلاق والكتابة، وذلك قصارى تعليم المرأة من أول ظهور الإسلام، وفي مطالعة أحوال نساء النبي والصحابة ما يقنع من وصف تلك الحالة، ثم التدريب على قوام المنزل.

وكانت الأمم التي دخلت في الإسلام مقتصرة في العناية بالتعليم على صنف الذكور دون الإناث، من حيث وجدوا حالة سائدة على معظم الأمم في حالة اقتصار المرأة من تلقاء نفسها على تدبير المنزل، وتربية الأبناء، لا ترضى بأن تفارق ذلك، لأن الدخول فيما يجاوز ذلك كان في تلك الأزمان يصرفها عن الاهتمام بحالة أولادها وبيتها، ويرهق قواها فيما تتطلبه حالة الرجل من حماية العائلة، والانضمام إلى حماية الحي والقبيلة من اعتداء المعتدين على عائلاتهم وأموالهم.

فقنعت النساء بتلقي نظام الحياة من أمهاتهن وكبيراتهن، وبتلقي واجبات الديانة من آبائهم وإخوانهن، ثم من أزواجهن.

وانظر فيمن كتب في ذلك في كتب التاريخ تجد ذلك شاهدًا واقعًا.

قال الشيخ أحمد شاكر:

«وثانيًا: أيجوز في شرع الله أن تذهب الفتيات في فورة الشباب إلى المدارس والجامعات، لتدرس القانون أو غيره، سواء مما يجوز تعلمه ومما لا يجوز؟! وأن يختلط الفتيان والفتيات هذا الاختلاط المعيب، الذي نراه ونسمع أخباره ونعرف أحواله.

أيجوز في شرع الله هذا السفور الفاجر الداعر، الذي تأباه الفطرة السليمة والخلق القويم، والذي ترفضه الأديان كافة، على الرغم مما يظن الأغرار وعباد الشهوات؟!.

... ألا فليُجِب العلماء وليقولوا ما يعرفون، وليبلغوا ما أمروا بتبليغه، غير متوانين ولا مقصرين.

سيقول عني عبيد النسوان، الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا: أني جامد، وأني رجعي، وما إلى ذلك من الأقاويل، ألا فليقولوا ما شاؤوا، فما عبأت يوما ما بما يقال عني، ولكني قلت ما يجب أن أقول». اهـ

وفي بحث نشِر في مجلة البحوث الإسلامية ما نصه:

[إنَّ المناهج التعليمية من أخطر الوسائل وأكثرها تأثيرا في المجتمع، إذ أنها طريق للغالبية من المجتمع أو لجميع أفراده بحسب مستوى المجتمع وحرصه على التعليم.

فالمدارس الرسمية والأهلية تحتوي على مناهج تعليمية إجبارية، وكل منتسب إليها لا بد له من هضمها واستيعابها، وبالتالي فلا بد من حصول التأثر بها خاصة وهي ترافق الفرد في كل مراحل حياته.

ولقد عرف المستعمرون وأعوانهم من مبشرين أهمية **" التعليم الموجه " فأنشئوا المدارس المختلفة لإفساد أبناء المسلمين عن طريقها.**

يقول اليسوعيون: (إنَّ المبشر الأول هو المدرسة).

ويقول جب: (**إنَّ مدارس البنات في بلاد الإسلام هي بؤبؤ عيني، لقد شعرت دائمًا أنَّ مستقبل الأمر في سوريا إنما هو بمنهج تعليم بناتها ونسائها**).

فالتعليم له شأنه وخطره، وعدم تصحيح مناهجه وتوجيه أبنائه إلى الغاية الصحيحة في جميع بلاد المسلمين؛ فإنَّه لا يمكن توحيد المفاهيم والتصورات والموازين التي لا تكاد تلتقي على أمر واحد في بلاد المسلمين اليوم، ولا زالت تسير وفق المخططات التي رسمها لها أعداء الإسلام -إلا ما رحم ربك -]. اهـ[١]

ونختم بهذه النصيحة التي تطمئن نفس كل غيورٍ على عِرْضِهِ وبناته للعمل بها.

جاء في الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٧٤):

«وبتعليم المرأة حصل التبرج، وبتعليمها مَزَّقَت الحجاب، وكَشَفَتْ عن الساق والفخذ، والرأس والصدر، فصرفت لها الأنظار، فثارت الشهوة، فضعفت الرجولية، وماتت الغيرة والحمية، وهلك الشباب بذلك.

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا

وإني أنصح لكل مسلم أن لا يُدْخِلَ ابنته أو أخته في هذه المدارس التي ظاهرها الرحمة، وباطنها البلاء والفتنة، ونهايتها السفور والفجور، وسقوط الأخلاق والفضيلة؛ ومن لم يتعظ ويعتبر بما يرى ويسمع في البلاد المجاورة فلن يعظه شيء ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النور: ٤٠]». اهـ

أقول: بل أنا ناصحٌ لإخواني أن لا يُدخِلوا أولادهم إلى المدارس، أكانوا ذكورًا أم إناثًا، فكلهم على خطر عظيم، ويقود إلى شر مستطير.

(١) مجلة البحوث الإسلامية (٢١/ ٢٦٤)

إلا إنْ وُجِد تعليمٌ على أسس وضوابط إسلامية، وبدون اختلاط الجنسين، ويُهتمُّ فيه بكتب العلم والإسلام والمسلمين، فهذا طيب، ولكن هذا دونه خرط القتاد بالذات في بلادنا اليمنية. (١)

وليعلم المسلمون أن أعداء الله لا همَّ لهم إلا الكيد للمسلمين؛ لإبعادهم عن دينهم كما طفحت به ألسنتهم، فقد قال زعيمهم صمويل زويمر أمام مؤتمر القدس التنصيري سنة **١٩٣٥** م، قائلا: «.." ولتكن مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريمًا، **وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله؛ وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها**. . " اهـ. فيا ليت قومي يعلمون.

- **فصلٌ:**

ومن المعلوم أنَّ كثيرًا من الناس إنما يدخلون أبناءهم في المدارس لضمان الوظيفة بحد زعمهم، والرزق بيد الله عز وجل ولا يقتصر على الوظيفة، وكم تجد من الناس الذين هم يعملون بأيديهم، وبحرف يدوية، وأرزاقهم تجري عليهم، بل تجدهم أحسن حالًا من كثيرٍ من الموظفين، وما كان عطاء ربك محظورًا. والله الموفق

(١) كلامي هنا عن بلادنا اليمنية وكثير من بلاد الإسلام، وإن وُجِد بعض البلدان الإسلامية التي تعتني بالدين والعقيدة في مدارسها وتهتم بتربية النشء على أسس إسلامية فهذا له وضعه وحكمه، وهو نادر، مفقود عندنا.

الخطوة الحادية عشر

تعليمه العلمَ النافع علمَ الكتاب والسنة

وهذا والله من أعظم حقوق أبنائنا علينا؛ أنَّ نعلمهم كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، كيف لا؛ ونحن نرى أعداءنا يُسابقوننا على نشر أفكارهم الهدامة، والمسلمون إلى ذلك سِراعًا؛ إلا من رحمهُ الله، ثم هم يتخلفون عن أعظم واجب هو عليهم، وهو أن يعلِّموا أبناءهم ما يصلح به دينهم، وتقوم به دنياهم وآخرتهم، وهذا والله وبالله من واجب المسلم تجاه أولاده، وقد قال ربنا سبحانه وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ [التحريم: ٦]

روى الحاكم والبيهقي في الشعب عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التحريم: ٦] قَالَ: "عَلِّمُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمُ الْخَيْرَ" [وصححه الألباني في الترغيب] وفي رواية للبيهقي أنه قَالَ: "عَلِّمُوهُمْ وَأَدِّبُوهُمْ"

وفي مسند البزار عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"عَلِّمُوا أَوْلادَكُمُ الصَّلاةَ إِذَا بَلَغُوا سَبْعًا، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا إِذَا بَلَغُوا عَشْرًا، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ"** [وهو صحيح]

ولا يمكن أن يتعلم الولدُ الصلاةَ الصحيحةَ؛ حتى يتعلَّمَ شروطَها وأركانَها وواجباتها ومبطلاتها، وهذا لا يكون إلا بتعلم العلم النافع من كتاب الله وسنة

رسوله ﷺ، ومن لم يعلِّم أولاده ما يقوم به دينهم فهو آثمٌ، مفرِّطٌ في أعظم حقوقهم، مُضيِّعٌ للأمانة التي أتمنه الله عليها، وهو محاسب بين يدي الله سبحانه وتعالى على ذلك.

وإذا قلنا: إنه يجب عليه أن يعلِّم ولده؛ فمقصودُنا بذلك العلم الذي يتعلم به الولد ما أوجب الله عليه، من أمر التوحيد والعقيدة والصلاة والصيام وغيرها مما أوجب الله عليه القيام به .

فالعلم علمان: فرض على الأعيان يجب على كل واحد تعلُّمُه، وفرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين.

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **"طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"**(١)

قال الشيخ عبد العزيز الراجحي في شرح سنن ابن ماجه:

"ولا شك أنَّ قوله: **" فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"** المراد: العلم الذي هو فريضة يقوم به دين الإسلام، فيجب على كل إنسان أن يتعلم ما يقوم به دينه، يتعلم كيف يعبد الله، ويتعلم أنَّ الله أوجب عليه التوحيد، وأنَّ الشرك محرم، ويتعلم كيف يصلي، وكيف يزكي إذا كان عنده مال، وكيف يحج، وكيف يصوم، هذا فرض على كل مسلم أنَّ يتعلم كيف يعبد الله، فكل مسلم لا بد أنَّ يطلب العلم حتى يعرف كيف يصلي،

(١) رواه ابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٧٢)

وكيف يزكي، وكيف يحج، وكيف يقيم دينه، وما زاد على ذلك فهو فرض كفاية". اهـ

وإذا قصَّر الأبوان في تعليم أبنائهم ما يتعلمون به أمور دينهم المفروضة عليهم؛ كانا آثِمَينِ، لتفريطهم في تعليم أولادهم ما هو حق لهم.

وفي سنن أبي داود من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ**" [وهو حديث حسن بمجموع طرقه واستشهد به شيخنا يحيى في الكنز الثمين]

قال العلامة العباد في شرح سنن أبي داود (الدرس ٢٠٥):

"أي: أن الإنسان يأثم في عدم الإنفاق والإعالة لمن تلزمه النفقة عليهم، سواء كان ذلك بأن يترك التسبب في طلب الرزق لهم، أو بأن يكون ذا مال فيشح عليهم ويقتر، أو أن يذهب ينفق ويتصدق على الأبعدين ويترك الأقربين ممن تلزمه النفقة عليهم، فيكفل المستحب ويترك الواجب، فإنَّه يكون آثمًا لأنَّه ترك ما أوجب الله عز وجل عليه من الإنفاق على من يجب الإنفاق عليه". اهـ

قلت: فبالله عليك الإثم الحاصل للوالد من تضييعه في جَلْبِ لُقَيمات قد كتبت لذلك الولد وهو في بطن أمه أعظم، أم إهمال تعليمه أمور دينه، وما تصلح به شئونه في الدنيا والآخرة؟!!

بل هذا والله أعظم من ذاك مئات المرات، كيف لا والنبي ﷺ يقول كما في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا**

يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ"

فالأبوان لهما التأثير البالغ في عقيدة الأولاد فليتقوا الله فيهم.

قال ابن القيم في تحفة المودود (ص: ٢٢٩):

"فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم **وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه** فأضاعوهم صغارًا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارًا كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال: يا أبت إنك عققتني صغيرًا فعققتك كبيرًا وأضعتني وليدًا فأضعتك شيخًا". اهـ

فهذا كله مما يدلك أيها الأب الفاضل على وجوب تعليمك لأولادك من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ ما يصلح به حالهم وما يأخذ بأيديهم إلى الصلاح، وأما أن يريد الأبُ من ولده أن يكون صالحًا وأن يتعلم الأدب والأخلاق الفاضلة دون أن يعلمه العلم النافع، فحاله كمن قيل فيه:

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا ... إنَّ السَّفِينَةَ لاَ تَجْرِي على الْيَبَسِ

• **فصلٌ:**

ويبدأ الأب في تعليمهم ما يحتجون إليه من أمور الدين؛ من حين يبلغون سن التمييز أي السابعة ونحوها.

قال العلامة الفوزان في المنتقى:

"يبدأ تعليم الأولاد عندما يبلغون سن التمييز فيبدأ تعليمهم التربية الدينية لقوله ﷺ: " **مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ** "[رواه أبو داود في "سننه" (١/١٣٠) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم].

فإذا بلغ الطفل سن التمييز فإنَّه حينئذ يؤمر والده بأن يعلمه وأن يربيه على الخير بأن يعلمه القرآن، وما تيسر من الأحاديث، ويعلمه الأحكام الشرعية التي تناسب سن هذا الطفل بأن يعلمه كيف يتوضأ وكيف يصلي، ويعلمه الأذكار عند النوم وعند الاستيقاظ وعند الأكل والشرب؛ لأنه إذا بلغ سن التمييز فإنه يعقل ما يؤمر به وما ينهى عنه، وكذلك ينهاه عن الأمور غير المناسبة ويبين له أنَّ هذه الأمور لا يجوز له فعلها كالكذب والنميمة وغير ذلك، حتى يتربى على الخير وعلى ترك الشر من الصغر، وهذا أمر مهم جدًّا غفل عنه بعض الناس مع أولادهم، إنَّ كثيرًا من الناس لا يهتمون بأمور أولادهم ولا يوجهونهم الوجهة السليمة، ويتركونهم مهملين لا يؤمرون بالصلاة ولا يوجهون إلى خير؛ بل ينشئون على جهل وعلى أفعال غير حسنة، ويخالطون الأشرار ويهيمون في الشوارع ويهملون دروسهم؛ إلى غير ذلك

من المضار التي ينشأ عليها كثير من شباب المسلمين بسبب إهمال آبائهم، وهم مسئولون عنهم لأنَّ الله حملهم مسئولية أولادهم، قال ﷺ: " **مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ** " [رواه أبو داود في "سننه" (١/١٣٠) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم]، وهذا أمر وتكليف للآباء، فالذي لا يأمر أبناءه بالصلاة يكون قد عصى النبي ﷺ، وفعل محرمًا، وترك واجبًا عليه ألزمه به رسول الله ﷺ.

وقال ﷺ: "**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**" [رواه الإمام البخاري في "صحيحه" (٨/١٠٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما] بعض الآباء -وللأسف- مشغول بأمور دنياه، ولا يلتفت لأولاده، ولا يفرغ لهم شيئًا من وقته، وإنَّما جميع وقته مخصص لأمور الدنيا، وهذا خطر عظيم كثر في بلاد المسلمين ساءت بسببه تربية أولادهم، فأصبحوا لا يصلحون لدين ولا لدنيا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم". اهـ

وقال العلامة ابن باز رحمه الله في فتاوى نور على الدرب (١٦/ ٢٨):

"الواجب على الآباء والأمهات تعليم الأولاد وتوجيههم إلى الخير، وتعليم البنين والبنات، وإرشادهم فيما يتعلق بالصوم والصلاة وبما يتعلق بحيض المرأة وغير ذلك، يجب على الأب والأم إرشاد الأولاد، يقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التحريم: ٦] فالله جل وعلا أمرهم بهذا، وقال ﷺ "**كُلُّكُمْ**

رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا"

كلهم راع، الواجب على الأب أن يعتني بالأولاد وأن يرشدهم، وهكذا الأم، كلهم مسؤولون: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣]، الأب يعلم أولاده الذكور والإناث، والأم كذلك؛ حتى ينشؤوا على خير وعلى هدى وعلى بصيرة، نسأل الله للجميع الهداية". اهـ

وقال العلامة العثيمين رحمه الله في لقاءات الباب المفتوح:

"البنين والبنات يحتاجون إلى تربية وإلى تهذيب أخلاق، وما أحسن أن يلقاك صبي صغير في سن التمييز تقول: أحفظت شيئًا من القرآن؟ يقول: نعم، اقرأ الفاتحة، يقرؤها عليك، الإنسان يمتلئ قلبه سرورًا، وهذا والحمد لله يوجد الآن، يوجد أناس إذا جلس مع أولادهم الصغار درسوهم القرآن، وعلموهم شيئًا من أصول الدين ولو كانوا صغارًا، الصغير لا ينسى، لا ينسى ما سمع ولا ما رأى، علِّم ولدك الذكر أو الأنثى، إذا جلست معه على القهوة.. على الغداء.. على العشاء.. على مجلس سهر علمه أدبه، قل له: يا بني كذا، يا بنتي كذا. كذلك أيضًا علمه الصدق، لا تعده موعدًا فتخلفه، إذا وعدته موعدًا فأخلفته استسهل الكذب، واستسهل إخلاف الوعد". اهـ

وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ مع الأولاد ففي سنن ابن ماجه عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا" [وهو في الصحيح المسند للوادعي (٢٧٣)]

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن الضحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ أنه قال: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَهْلِيكُمُ الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ مَنْ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنْ مُسْلِمٍ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَاكْتَنَفَاهُ فَقَالَا لَهُ: اقْرَأْ وَارْتَقِ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَنْزِلَا بِهِ حَيْثُ انْتَهَى عَمَلُهُ مِنَ الْقُرْآنِ " [وسنده صحيح إليه]

قال البيهقي في الشعب:

" قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا التَّعْلِيمُ وَالتَّأْدِيبُ فَوَقْتُهُنَّ أَنْ يَبْلُغَ الْمَوْلُودُ مِنَ السِّنِّ وَالْعَقْلِ مَبْلَغًا يَحْتَمِلُهَا، وَذَلِكَ يَتَفَرَّعُ فَمِنْهَا: أَنْ يُنَشِّئَهُ عَلَى أَخْلاقِ صُلَحَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَصُونَهُ عَنْ مُخَالَطَةِ الْمُفْسِدِينَ، وَمِنْهَا: أَنْ يُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ وَلِسَانَ الأَدَبِ وَيُسْمِعَهُ السُّنَنَ، وَأَقَاوِيلَ السَّلَفِ، وَيُعَلِّمَهُ مِنْ أَحْكَامِ الدِّينِ مَا لا غِنَى بِهِ عَنْهُ، وَمِنْهَا: أَنْ يُرْشِدَهُ مِنَ الْمَكَاسِبِ إِلَى مَا يُحْمَدُ وَيُرْجَى أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ كِفَايَتَهُ، فَإِذَا بَلَغَ أَحَدُهُمْ حَدَّ الْعَقْلِ عُرِّفَ الْبَارِئَ جَلَّ جَلالُهُ إِلَيْهِ بِالدَّلائِلِ الَّتِي تُوصِلُهُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْمِعَهُ مِنْ مَقَالاتِ الْمُلْحِدِينَ شَيْئًا، وَيَذْكُرُهُمْ لَهُ فِي الْجُمْلَةِ أَحْيَانًا، وَيُحَذِّرُهُ إِيَّاهُمْ، وَيُنَفِّرُهُ عَنْهُمْ، وَيُبَغِّضُهُمْ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَاعَ، وَيَبْدَأُ مِنَ الدَّلائِلِ بِالأَقْرَبِ الأَجْلَى، ثُمَّ مَا

يَلِيهِ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ بِالدَّلائِلِ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ بِهَدْيِهِ فِيهَا إِلَى الأَقْرَبِ الأَوْضَحِ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ". اهـ

وإنَّك لتعجب ممن يرى أنَّه واجب عليه أن يعلِّم أولاده في المدارس النظامية؛ التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا يرى أنَّه واجب عليه أن يعلِّمه أمور دينه من توحيد وعقيدة وما إلى ذلك مما أوجبه الله على جميع الناس.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله في الأصول الثلاثة:

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يجب علينا تعلم أربع مسائل.

(الأُولَى) الْعِلْمُ وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

(الثانية) العمل به.

(الثالثة) الدعوة إليه.

(الرَّابِعَةُ) الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [سورة العصر: ١-٣].

قال الشافعي رحمه الله تَعَالَى: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله تعالى

(بَابُ) " العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [سورة محمد: ١٩]». اهـ

قال العلامة الفوزان في شرح ثلاثة الأصول (ص: ١٦)

«قوله: العلم: المراد بالعلم هنا هو العلم الشرعي؛ لأنَّه هو الذي يجب تعلمه، وهذه المسائل يجب تعلمها على كل مسلم من ذكر أو أنثى أو حر أو عبد أو غني أو فقير أو ملك أو صعلوك، كل مسلم يجب عليه أن يتعلم هذه المسائل الأربع.

وهذا ما يسميه العلماء بالواجب العيني، وهو الذي يجب على كل أحد من المسلمين، فالصلوات الخمس على الرجال والنساء، وصلاة الجماعة في المساجد على الرجال هذا واجب على كل فرد من المسلمين أن يتعلمها؛ ولذلك قال: يجب علينا، ولم يقل: يجب على بعضنا، وإنَّما قال: يجب علينا، يعني معشر المسلمين، فهذا من العلم الذي يجب تعلمه على الأعيان؛ لأنَّ العلم على قسمين:

الأول: ما يجب تعلمه على الأعيان، فلا يعذر أحد بجهله وهو ما لا يستقيم الدين إلا به، مثل أركان الإسلام الخمسة التي هي: الشهادتان، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بيت الله الحرام، لا يجوز لمسلم أن يجهلها بل لا بد أن يتعلمها.

لأنَّ تعلم معنى الشهادتين إنما هو تعلم العقيدة، يتعلم المسلم العقيدة من أجل العمل بها، ويتعلم ما يضادها من أجل أن يتجنبه، هذا مضمون الشهادتين، كذلك يتعلم أركان الصلاة وشروط الصلاة، وواجبات الصلاة، وسنن الصلاة، يتعلم بالتفصيل هذه الأمور، ليس مجرد أنَّه يصلي وهو لا يعرف أحكام الصلاة. كيف يعمل الإنسان عملا وهو لا يعلم هذا العمل الذي يؤديه؟ كيف يؤدي الصلاة وهو

جاهل بأحكامها؟ فلا بد أن يتعلم أحكام الصلاة، ومبطلات الصلاة، لا بد من تعلم هذا.

كذلك يتعلم أحكام الزكاة، ويتعلم أحكام الصيام، ويتعلم أحكام الحج، فإذا أراد أن يحجَّ وَجَبَ عليه تعلم أحكام الحج وأحكام العمرة، من أجل أن يؤدي هذه العبادات على الوجه المشروع.

وهذا القسم لا يعذر أحد بجهله، وهو ما يسمى بالواجب العيني على كل مسلم». اهـ

- **فصـــلٌ:**

فإذا رأى الوالد مِنْ ولده رغبةً للانقطاع لطلب العلم الشرعي من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والتفقه في الدين، ورأى منه قلبًا حاضرًا، وعنده نهمة متوقِدة ورأى منه شغفًا لطلب العلم ولحفظ كتاب الله والتفرغ لطلب العلوم الشرعية؛ فليأخذ على يديه إلى هذا الخير، فإنَّه نادر في الناس ولا يوفَّقُ إليه إلا من وفقه الله، وليرسله إلى مركزٍ من مراكز أهل السنة والجماعة لتلقي العلوم الشرعية، وليساعده بماله ما استطاع، وليبذل الغالي والرخيص في سبيل تعليم ولده ما يصير به عالمًا وإمامًا ينفع الله به الإسلام والمسلمين، وليبشر بالسناء والرفعة والتمكين.

- **فصلٌ فيمن لم تكن همته في طلب العلم:**

لتعلمْ أيها الأب الكريم أنَّ هِمَمَ الناس تتفاوت، وليس مطلوبًا من جميع الأبناء أن يكونوا علماء ربانيين قال ربنا سبحانه وتعالى ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ

كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ [التوبة: ١٢٢]

فلهذا تجد كثيرًا من الأبناء مصروفًا عن طلب العلم، ولا نهمةَ له في ذلك، ومثل هذا ينبغي على الأب أن يصرفه إلى ما ينفعه من باب آخر.

وما أجمل الأسلوب الذي ذكره ابن القيم في التعامل مع مثل هذا الصنف، حيث يقول في تحفة المودود (صـ٢٤٣):

"ومما ينبغي أن يعتمد حال الصبي وما هو مستعد له من الأعمال ومهيأ له منها، فيعلم أنَّه مخلوق له فلا يحمله على غيره[١]، ما كان مأذونًا فيه شرعًا، فإنَّه إن حمله على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه وفاته ما هو مهيأ له.

* فإذا رآه حسن الفهم، صحيح الإدراك، جيد الحفظ واعيًا، فهذه من علامات قبوله وتهيئه للعلم، لينقشه في لوح قلبه ما دام خاليًا فإنَّه يتمكن فيه ويستقر ويزكو معه.

* وإن رآه بخلاف ذلك من كل وجه وهو مستعد للفروسية وأسبابها من الركوب والرمي واللعب بالرمح وأنَّه لا نفاذ له في العلم ولم يخلق له؛ مكنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها فإنه أنفع له وللمسلمين،

(١) أي تنظر إلى ما له ميل له ورغبة فيه من الأعمال، فإن كان مما لا مخالفة شرعية فيه؛ فلا بأس أن يستمر فيه فالقدرات تتفاوت وليس كل الناس لهم ميل إلى شيء واحد، بل يختلفون.

* وإن رآه بخلاف ذلك وأنَّه لم يخلق لذلك ورأى عينه مفتوحة إلى صنعة من الصنائع مستعدًا لها قابلاً لها وهي صناعةٌ مباحةٌ نافعة للناس؛ فليمكنه منها،

* هذا كله بعد تعليمه له ما يحتاج إليه في دينه، فإنَّ ذلك ميسرٌ على كل أحد لتقوم حجة الله على العبد، فإن له على عباده الحجة البالغة كما له عليهم النعمة السابغة".

انتهى كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومعنى هذا الكلام: أنك تنظر لما يميل إليه ولدك ويرغب فيه جدًا.

فمثلاً ولدك الكبير يحبُّ طلب العلم الشرعي ويتطلع أن يكون عالمًا، فأعنه على ذلك وكن له مشجعًا، فقلَّ من تجد له هذه النهمة.

وولدك الذي أصغر منه ليس له رغبة في طلب العلم، وكلَّما دفعت به لطلب العلم شرد وابتعد؛ فلا تحمله على ذلك ولا تجبره عليه، فقد تراه يحب العمل في البيع والشراء، فاختر له عملاً يكون مباحًا لا شبهة فيه وأعنه عليه، فلعله في يوم من الأيام يحسُن حاله ويكثُر ماله؛ فيُعين أخاه المتفرغ لطلب العلم، وبهذا يكون قد شارك في الخير من جانبٍ آخر.

والثالث له ميل إلى الزراعة للخضروات والفواكه مما هو حلال فأعِنه، وهكذا.

وتذكَّر حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: «إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ المُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ العَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَإِنَّ أَبَا

هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِبَعِ بَطْنِهِ، وَيَحْضُرُ مَا لاَ يَحْضُرُونَ، وَيَحْفَظُ مَا لاَ يَحْفَظُونَ ». رواه البخاري.

وكذا حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا المُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ**». رواه الترمذي

فلم يقل النبي ﷺ للمحترف: تعال واطلب العلم، ودعك من العمل، بل أقرَّه على ما هو فيه، وأخبره أنَّه لعله بإنفاقه على أخيه يكثُر ماله، ويزداد خيره، وهذا لا شك فيه ولا ريب، فطلب العلم باب من أبواب الرزق، لطالب العلم ولمن تكفَّل به.

ولكن وفقك الله تنبه لقول ابن القيم : " هذا كله بعد تعليمه له ما يحتاج إليه في دينه، فإنَّ ذلك ميسر على كل أحد لتقوم حجة الله على العبد"

حتى لا تظن أنَّك تتركه هملاً دون أن تعلِّمَه الضروريات من أمور دينه التي يعبد الله بها على بصيرة، مما تعَلُّمُه فرض عين على كل مسلم، والذي هو أساس هذه الخطوة من الخطوات العملية. والله الموفق.

الخطوة الثانية عشر

تجنيبه الهواتف السيارة والتليفونات

والمقصود بذلك حمايته من أخطارها ومن ضررها، فقد عمل أعداء الله من اليهود والنصارى على بث سمومهم وشرورهم من خلال هذه التليفونات.

فأصبح خطره كبيرًا، وشره مستطيرًا، بالذات مع فتح مجال الإنترنت ومواقع التواصل كالفيس بوك والتويتر والواتس آب والإيمو والتليجرام والانستغرام وغيرها[١] ، مما قد تؤثر في سلوك البنين والبنات سِلبًا، فتجد في مثل هذه المواقع ينشرون الأفلام الخليعة، والأغاني الماجنة والصور المحرمة، وأصبحت وسيلةً عند كثير من الشباب لإفراغ نزواته الشيطانية، وكذا لإشباع شهواته ولو كان في الحرام.

فلهذا ينبغي على الأب الحذر من أن يُعطي ولده مثل هذا الجهاز-الذي يسمى اللمس- بالذات في سن النشوء والشباب فإنَّه يكون صيدًا سهلاً لأعداء الله، ولمن يحب أن تشيع الفاحشة في أوساط المسلمين، حتى ولو كان هو من المسلمين.

فإن كان ولا بد من تلفونٍ للولد؛ فليكن من النوع العادي وليس من اللمس.

فإن كان الأب قد أعطى ولده مثل هذه الجوالات اللمس-كما هو الحال في كثيرٍ من الأسر- **فيكون واجبه متمثلًا في أمور ومنها:**

١. أن يتابعه ويكثر من تفقد تلفونه بين الحين والآخر، ويكون ذلك برفق

(١) ومن أقبحها الآن ما يسمى بالتيك توك الذي أفسد كثيرا من الشباب والشابات فإلى الله المشتكى.

ولين، وعلى طريق المداعبة دون أن يشعره أنه يريد أن يمسك عليه أشياء، فهذا يؤثر في نفسية الولد، وربما يجعله يستخدمه في أمور محرمه ثم يحذفها قبل أن يلقى أباه.

٢. أن يمنعه من استخدام شبكات الوايرلس والإنترنت فعندها يخف الضرر إن شاء الله، وقد أحسن من قال:

أَبَا مُنذِرٍ أفنيْتَ فاسْتَبْقِ بعْضَنَا حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشر أهْوَنُ مِنْ بعض

والعرب تقول: "**ويل أهون من ويلين**".

٣. يُكْثِرُ مِن وعظه بتقوى الله وأنَّ العبد لا بد أن يستخدم مثل هذه الجوالات فيما هو مباح، وفيما لا يُغضب الله، ويخبره بأنَّ الله يراه ومطَّلع عليه في كل ما يأتي ويذر.

٤. يملأه له بالقرآن والمواعظ والمحاضرات، قبل أن يسعى الولد في إدخال الأغاني والمنكرات فيه، وهذا يعتبر من مسابقة الشر وأهل الشرور، ويبين له أنَّ فعله هذا يُعدُّ من شكرنا لله على هذه الجوالات التي تعد من النعم التي يجب على العبد أن يُحْسِن استخدامها.

٥. تعليمه أنَّ الغرض من اقتناء هذه الجوالات هو التواصل مع الأرحام والاطمئنان على الأهل والأصدقاء، وسماع القرآن والمحاضرات النافعة بها، وغير ذلك من المنافع الطيبة والأغراض المنشودة في هذه الجوالات.

٦. تفهيمه بأنَّ هذه الجوالات وهذه المراسلات لا تعني أن تضيع أوقاتك

بأكملها أمام هذه الجوالات كما يفعل البعض، وإنَّما تستخدم في أوقات الحاجة إليها عند الاتصال أو إرسال رسالة وهكذا، وأما تضييع الأوقات أمامها فهذا من سوء استخدامها، وإخباره أنَّ الله سبحانه وتعالى سيحاسبنا على تضييعنا لهذه الأوقات في غير مرضاة الله.

٧. تعريفه بأنَّ تصوير ذوات الأرواح محرم ولا يجوز بأدلته المعروفة وأنَّه لا يجوز التصوير ولا إرسال صور ذوات الأرواح، فهذا قد يسلِّمُه الله به من أمور كثيرة لا يعلم مغبتها إلا الله.

وغير ذلك من النصائح التي قد يرى الأب نفعها مع هؤلاء الأولاد والذين يرجو كثير من الآباء أن يكونوا قرة عين لهم

الخطوة الثالثة عشر

اختيار الأصحاب له وتجنيبه الرفقة السيئة

وهذه أيضًا من الخطوات المؤثرة في صلاح الأبناء، فكثير من الأولاد لم يكن فسادهم من جانب البيت ولا من أمور داخلية وإنَّما كان فساده من جانب الرفقة السيئة، ولا يخفى على كثير من العقال مدى تأثير الجليس السيئ على جليسه، ولو كان هو صالحًا في ذات نفسه فإنَّه يُخشى عليه من هذا الجليس السيئ.

واحذرْ معاشَرةَ الدنيءِ فإنها ... تُعدي كما يعدي الصحيحَ الأجربُ

وانظر إلى هذه القصة العظيمة التي يذكرها النبي ﷺ عن رجل أثَّرت فيه الرفقة السيئة فاعتاد الذنوب والمعاصي.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: **" كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ،**

فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ "

وانظر إلى قوله **"وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ"**

فهذا دليل واضح أنَّ رفقة السوء تؤثر تأثيرًا بليغًا على من يجالسهم.

وانظر إلى هذه القصة أيضًا التي تبين لك ذلك بوضوح أكثر

"عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾، قَالَ: نَزَلَتْ فِي عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، كَانَ يَجْلِسُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ لَا يُؤْذِيهِ، وَكَانَ رَجُلاً حَلِيمًا، وَكَانَ بَقِيَّةُ قُرَيْشٍ إِذَا جَلَسُوا مَعَهُ آذَوْهُ، وَكَانَ لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ خَلِيلٌ غَائِبٌ عَنْهُ بِالشَّامِ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: صَبَأَ ابْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، وَقَدِمَ خَلِيلُهُ مِنَ الشَّامِ لَيْلاً , فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: مَا فَعَلَ مُحَمَّدٌ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ؟ , فَقَالَتْ: أَشَدَّ مَا كَانَ أَمْرًا، فَقَالَ: مَا فَعَلَ خَلِيلِي ابْنُ أَبِي مُعَيْطٍ؟، فَقَالَتْ: صَبَأَ، فَبَاتَ بِلَيْلَةِ سُوءٍ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَاهُ ابْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَحَيَّاهُ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ التَّحِيَّةَ، فَقَالَ: مَالَكَ لَا تَرُدُّ عَلَيَّ تَحِيَّتِي؟ , فَقَالَ: كَيْفَ أَرُدُّ عَلَيْكَ تَحِيَّتَكَ وَقَدْ صَبَوْتَ؟ , قَالَ: أَوَقَدْ فَعَلَتْهَا قُرَيْشٌ؟ , قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا يُبْرِئُ صُدُورَهُمْ إِنْ أَنَا فَعَلْتُهُ؟ , قَالَ: تَأْتِيهِ فِي مَجْلِسِهِ , فَتَبْزُقُ فِي وَجْهِهِ , وَتَشْتُمُهُ بِأَخْبَثِ مَا تَعْلَمُ مِنَ الشَّتْمِ، فَفَعَلَ , " فَلَمْ يَزِدْ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ مَسَحَ وَجْهَهُ مِنَ الْبُزَاقِ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «**إِنْ وَجَدْتُكَ خَارِجًا مِنْ جِبَالِ مَكَّةَ , أَضْرِبُ عُنُقَكَ صَبْرًا** »، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ , وَخَرَجَ أَصْحَابُهُ , أَبَى أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: اخْرُجْ مَعَنَا، قَالَ: تَوَعَّدَنِي هَذَا الرَّجُلُ إِنْ وَجَدَنِي خَارِجًا مِنْ جِبَالِ مَكَّةَ أَنْ

يَضْرِبَ عُنُقِي صَبْرًا، فَقَالُوا: لَكَ جَمَلٌ أَحْمَرُ لَا يُدْرَكُ، فَلَوْ كَانَتِ الْهَزِيمَةُ , طِرْتَ عَلَيْهِ , فَخَرَجَ مَعَهُمْ، فَلَمَّا هَزَمَ اللهُ الْمُشْرِكِينَ , وَحَلَ بِهِ جَمَلُهُ فِي جُدَدٍ[١] مِنَ الْأَرْضِ، " فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَسِيرًا فِي سَبْعِينَ مِنْ قُرَيْشٍ، فَأَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يُقْتَلَ "، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ: مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ أُقْتَلُ؟، قَالَ: «**نَعَمْ** »فَقَالَ: لِمَ؟، قَالَ: «**بِمَا بَزَقْتَ فِي وَجْهِي** »، قَالَ: فَمَنْ لِلصِّبْيَةِ؟ , قَالَ: «**النَّارُ** »، فَقَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه فَضَرَبَ عُنُقَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى:: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة الفرقان:٢٧]. إلى قوله ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٩]».

قال العلامة الألباني في صحيح السيرة(ص: ٢٠٤): أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم في (الدلائل) [٢]بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس كما في (الدر المنثور) (٥ / ٦٨) ". اهـ

---

(١) قَالَ الْفَرَّاءُ: الجُدَدُ: الخِطَطُ والطُّرُق تَكُونُ فِي الْجَبَالِ , خِطَطٌ بِيضٌ وَسُودٌ وَحُمْرٌ كالطُّرُق، وَاحِدُهَا: جُدَّةٌ. لسان العرب (٣/ ١٠٨).

(٢) أما الطريق التي عند أبي نعيم ففيه محمد بن مروان السدي وهو متروك الحديث يرويه عن حماد بن السائب الكلبي وهو متهم بالكذب يرويه عن أبي صالح باذام الكوفي وهو ضعيف فالسند ساقط ولا تثبت به القصة وإن كان هناك من أهل العلم من يرى صحة رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس إن كانت في جانب السيرة أما الأحاديث فلا، وأما إسناد ابن مرداويه فلم أقف عليه، ومع هذا فالقصة مشهورة فقد جاءت عن السدي ومجاهد ومقسم بن بجرة صاحب ابن عباس وعَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، وأسانيدها صحيحة إليهم. وجاءت عن ابن عباس بلفظ مختصر وهو صحيح.

وهي في الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل وتوقف في تصحيحها لعدم تمكنه من الوقوف على سندها.

فهذه والله قصة مؤلمة، وفيها دلالة واضحة في تأثير الجليس السوء على جليسه.

ومنها ما مر بنا قبل صفحات في قصة أبي طالب نعيدها لاستخراج الشاهد.

أخرج البخاري من طريق ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ[1] ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: **"يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ"** فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ **حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ**، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ".

فانظر إلى أبي جهل الذي مازال بأبي طالب حتى صرفه عن قول لاإله إلا الله وعن الإيمان، وهذا يبين لك خطر الجليس السوء.

فلهذا وجب عليك أيها الأب أن تتخير الجلساء الصالحين لأولادك، وأن تأمر ابنك وابنتك بمجانبة الأصدقاء الفاسدين والمفسدين، حتى لا يفسدوا عليك من حيث لا تشعر، وفي مسند أحمد من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **"الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ"** [صححه الألباني في الصحيحة (٩٢٧)]

قال العلامة العباد في شرح سنن أبي داود (٥٤٨):

(١) عبد الله بن أبي أمية منَّ الله عليه بعد ذلك فأسلم، وذلك فضل الله يمتنُّ به على من يشاء من عباده.

"" **الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ** "يعني: أنَّ الإنسان إذا صار خليلاً ومصاحبًا لإنسان فإنَّه يكون مثله في أخلاقه وفي صفاته وفي عبادته.

وقوله: "**فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**"أي: أنَّه لا يختار إلا الخليل الطيب، ومن يكون عونًا له على الطاعة، ولا يختار خليلاً يكون عونًا له على المعصية، أو يجره إلى المعصية، أو يتسبب في انحرافه، وخروجه عن الجادة؛ لأنَّ أغلب البلاء الذي يحصل لكثير من الناس إنما يأتي عن مخالطة الأشرار، واختيار الأخلاء والأصدقاء المستقيمين هو الذي ينفع؛ ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧]

فالمخالة لأناس فيهم انحراف؛ تسبب انحراف من يخاللهم ويصاحبهم، فعلى الإنسان أن يخالل من يكون مستقيمًا، حتى يسلم في دينه وطاعته، وحتى يكون خليله عونًا له على طاعة الله عز وجل، ويزيده ثباتًا على ما هو عليه". اهـ

وهي وصية رسول الله ﷺ فيما رواه أبوداود في سننه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ "**لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ**". [حسنه الألباني في الجامع (٧٣٤١)]

قال المناوي في فيض القدير المناوي (٦/ ٤٠٤):

"" **لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا** "وكامل الإيمان أولى لأنَّ الطباع سراقة، ومن ثم قيل "صحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر" كالريح إذا مرت على

النتن حملت نتنا، وإذا مرت على الطيب حملت طيبا، وقال الشافعي: ليس أحد إلا له محب ومبغض فإذن لا بد من ذلك فليكن المرجع إلى أهل طاعة الله، ومن ثم قيل:

ولا يصحب الإنسان إلا نظيره وإن لم يكونوا من قبيل ولا بلد

وصحبة من لا يخاف الله لا يؤمن غائلتها لتغيره بتغير الأعراض قال تعالى ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨]

والطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري...

فعليك بامتحان من أردت صحبته لا لكشف عورة بل لمعرفة الحق

" **وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ** "لأنَّ المطاعمة توجب الألفة وتؤدي إلى الخلطة، بل هي أوثق عرى المداخلة، ومخالطة غير التقي يخل بالدين ويوقع في الشبه والمحظورات، فكأنه ينهى عن مخالطة الفجار؛ إذ لا تخلو عن فساد إما بمتابعة في فعل، أو مسامحة في إغضاء عن منكر، فإن سلم من ذلك ولا يكاد؛ فلا تخطئه فتنة الغير به[(١)] ". اهـ

وإياك أيها الأب المبارك أن تغفل عن ابنك أو ابنتك فيُصادقان من أصدقاء السوء وأنت لا تعلم؛ فيهلك ولدُك بسببهما وأنت متشبثٌ بتلك المقولة الفاسدة [**أنا واثق من ابني، أنا واثق من ابنتي**].

ووالله وتالله وبالله ما ضاع كثير من الأولاد إلا بمثل هذا الكلام الرديء.

---

(١) أي يراه غيره يؤاكله ويشاربه فيغتر به ويظنه على خير، بسبب أنه رآه معه.

قال ابن القيم في تحفة المودود (صـ: ٢٤٢) وهو يتكلم عن الأولاد:

" والحذر كل الحذر من تمكينه من تناول ما يزيل عقله من مسكر وغيره **أو عشرة من يخشى فساده أو كلامه له أو الأخذ في يده** فإنَّ ذلك الهلاك كله ومتى سهل عليه ذلك فقد استسهل الدياثة ولا يدخل الجنة ديوث، **فما أفسد الأبناء مثل تغفل الآباء وإهمالهم واستسهالهم شرر النار بين الثياب** فأكثر الآباء يعتمدون مع أولادهم أعظم ما يعتمد العدو الشديد العداوة مع عدوه وهم لا يشعرون، فكم من والد حرم ولده خير الدنيا والآخرة وعرضه لهلاك الدنيا والآخرة وكل هذا عواقب تفريط الآباء في حقوق الله وإضاعتهم لها وإعراضهم عما أوجب الله عليهم من العلم النافع والعمل الصالح حرمهم الانتفاع بأولادهم وحرم الأولاد خيرهم ونفعهم لهم هو من عقوبة الآباء". اهـ

فاحذر على أولادك من أصدقاء السوء وتخير لهم أصدقاء مؤمنين، على تقى وصلاح، عملاً بوصية رسول الله ﷺ مِن تخير الجليس، وكذا ليصلح حالهم والتوفيق من الله.

الخطوة الرابعة عشر

العدل بين الأولاد

وذلك لما في العدل من أثره الحسن في صلاح الأولاد، وما للجور من أثره الواضح في فساد الأولاد.

ومن أعظم الآثار الدالة على فسادهم هو عقوقهم لآبائهم، وهذا من أعظم ما يقود إليه الجور في العطايا وعدم العدل.

وقد ثبت عند البخاري عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ يَقُولُ: "أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لاَ أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **"أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟** "، قَالَ: لاَ، قَالَ: **"فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ"**، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ.

وفي رواية لمسلم فَقَالَ: **"أَكُلَّ بَنِيكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ النُّعْمَانَ؟** " قَالَ: لَا، قَالَ: **"فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي"**، ثُمَّ قَالَ: **"أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟** " قَالَ: بَلَى، قَالَ: **"فَلاَ إِذًا"**

قال الصنعاني في سبل السلام (١/ ٦٤):

"الحديث دليل على وجوب المساواة بين الأولاد في الهبة وقد صرح به البخاري وهو قول أحمد وإسحاق والثوري وآخرين.

وأنَّها باطلة مع عدم المساواة، وهو الذي تفيده ألفاظ الحديث من أمره ﷺ بإرجاعه، ومن قوله: اتقوا الله، وقوله: اعدلوا بين أولادكم، وقوله: فلا إِذَنْ، وقوله: لا أشهد على جور". اهـ

قلت: وهو اختيار الشوكاني رحمه الله.

❑ **فمن حق الأولاد على أبيهم أن يعدل بينهم.**

ولهذا جاء في رواية أبي داود وأحمد: وَذَكَرَ مُجَالِدٌ فِي حَدِيثِهِ **"إِنَّ لَهُمْ عَلَيْكَ مِنْ الْحَقِّ أَنْ تَعْدِلَ بَيْنَهُمْ كَمَا أَنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْحَقِّ أَنْ يَبَرُّوكَ"**(١)

قال العلامة العثيمين في شرح رياض الصالحين (٦/ ٥٣٧):

"فأمر عليه الصلاة والسلام أن نعدل بين الأولاد في العطية حتى لو تعطي أحدهم عشرة ريالات فأعط الآخر مثله لا تقل هذا شيء زهيد ما يساوي شيئًا أبدًا ولو ريال واحد...

لا، أعطهم كما أعطيت الثاني حتى كان السلف الصالح رضي الله عنهم إذا قبَّلوا أحد الأولاد قبَّل الثاني من شدة العدل بينهم وكذلك أيضًا في النظر إليهم لا تنظر إلى هذا نظرة غضب وإلى هذا نظرة رضا لا، اعدل بينهم حتى في المواجهة وطلاقة الوجه إلا أن يفعل أحدهم ما يغضب فهذا له شأن أما بدون سبب اجعلهم سواء ولا تفضل أحدا على أحد، وهنا مسألة وهي أنَّ بعض الناس يزوج أولاده الكبار وله أولاد

(١) قال العلامة الألباني في الصحيحة (٣٩٤٦): "تفرد مجالد بهذه اللفظة". يعني لفظة: "الحق "، لكن معناها صحيح، يشهد له مجموع روايات الحديث كما هو ظاهر. اهـ

صغار فيوصي لهم بعد موته بمقدار المهر وهذا حرام ولا يحل لأنَّ هؤلاء إنَّما أعطيته لحاجتهم حاجة لا يماثلهم إخوانهم الآخرون الصغار فلا يحل لك أن توصي لهم بشيء وإذا أوصى فالوصية باطلة ترد في التركة ويرثونها على قدر ميراثهم كذلك أيضا بعض الناس يكون ولده يشتغل معه في تجارته في فلاحته فيعطيه بريرة على إخوانه وهذا أيضا لا يجوز لأن الولد إن كان قد تبرع بعمله مع أبيه فهذا بر وثوابه في الآخرة أعظم من ثوابه في الدنيا وإن كان لا يريد ذلك يريد أن يشتغل لأبيه بأجر فليفرض له أجره مثلا لك كل شهر كذا وكذا كما يعطي الأجنبي أو يقول لك سهم من الربح وأما أن يخصه من بين أولاده مع أنَّ الولد قد تبرع بعمله وجعل ذلك من البر فلا يجوز له ذلك وإن أعطى أحدهم لكونه طالب علم يحفظ القرآن فإن قال للآخرين من طلب منكم العلم أعطيته مثل أخيه أو من حفظ القرآن أعطيته مثل أخيه فطلب بعضهم وترك بعض فهؤلاء هم الذين تركوا الأمر بأنفسهم فلا حق لهم وأما إذا كان خص هذا دون أن يفتح الباب لإخوانه فهذا لا يجوز". اهـ

وقوله: (حتى كان السلف الصالح رضي الله عنهم إذا قبَّلوا أحد الأولاد قبَّل الثاني من شدة العدل بينهم)، يدل عليه ما رواه البيهقي في شعب الإيمان عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً كَانَ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَاءَ بُنَيٌّ لَهُ، فَأَخَذَهُ فَقَبَّلَهُ وَأَجْلَسَهُ فِي حَجْرِهِ، ثُمَّ جَاءَتْ بُنَيَّةٌ لَهُ، فَأَخَذَهَا وَأَجْلَسَهَا إِلَى جَنْبِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"فَمَا عَدَلْتَ بَيْنَهُمَا"** وفي رواية **"هَلاَّ عَدَلْتَ بَيْنَهُمَا"** [الصحيحة(٢٨٨٣)]

فإن كان النبي ﷺ يوجهه للعدل في القُبْلة فكيف بغير القُبْلة.

وكذا مما ينبغي على الأب ألا يجعل أولاده يلحظونه منه، ألا وهو المحبة الزائدة التي يخص بها أحدهم دون غيرهم، فإنَّ هذا يقود إلى فساد حالهم إلا أن يتداركهم الله برحمة منه وفضل.

وانظر لهذه القصة التي تبين لك ما ذكرنا، وهي قصة أولاد يعقوب عليه السلام إذ يقول الله عنهم ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٨ ﴾ [يوسف: ٧ – ٨]

فإنَّهم لما شعروا بمحبة أبيهم الزائدة ليوسف وأخيه[١]، حملهم ذلك على حسدهم لأخيهم وجرَّهم إلى تضليلهم لأبيهم.

و"الظاهر أنَّ مراد أولاد يعقوب بهذا الضلال الذي وصفوا به أباهم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام في هذه الآية الكريمة؛ إنَّما هو الذهاب عن علم حقيقة الأمر كما ينبغي "[٢].

ثم أوصلهم هذا الأمر إلى أن كادوا ليوسف وأخيه، قال الله سبحانه وتعالى عنهم ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۝٩ ﴾ [يوسف: ٩]

---

(١) وإنما كانت محبة يعقوب الزائدة ليوسف لما علم من اصطفاء الله ليوسف وذلك من خلال تأويله لتلك الرؤيا التي رآها يوسف، مما حمله على الخوف عليه، والله أعلى وأعلم.

(٢) من كلام الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان

وليس معنى هذا أنَّ يعقوب عليه السلام كان لا يعدل –حاشاه عليه السلام–ولكنه كان يحب يوسف وأخاه حبًا شديدًا[١] عجز أن يكتمه فظهرت عليه آثاره، مما حمل إخوة يوسف على أن يفكروا بهذا الأمر العظيم ليخلوا لهم وجه أبيهم ومحبته، والله أعلم.

- **والذي يتوجب عليك أيها الأب للعدل بين أولادك أمور ومنها:**

١) ألَّا تخص بعضهم بعطايا دون بعض وأن تعدل بينهم في الهدايا والعطايا.

٢) إذا احتاج بعض أولادك لشيء فلا بأس أن تعطيَه ولو لم تعط البقية فإنما يكون هذا على قدر حاجةِ بعضهم، كأن يحتاج أحدهم إلى زواج فتزوجه، أو كان أحدهم يطلب العلم الشرعي فيحتاج لكتب دون سائر إخوته فيعطى، وكذلك كأن تحتاج البنت لملابس أكثر من حاجة الولد أو بمال يفوق قيمة ملابس البنين فتعطى بقدر حاجتها، ولا يجب العدل في مثل هذا.

قال العلامة العثيمين في لقاءات الباب المفتوح (٢٢٤):

"الواجب في عطية الأولاد أن تكون بالعدل، لحديث بشير بن سعد حين أعطى ابنه النعمان بن بشير ولم يعط بقية أولاده، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **"اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ"**.

والعدل بين الأولاد: أن يعطي كل واحد منهم ما يحتاج إليه، فمثلاً: هذا الولد طالب يحتاج إلى الكتب يحتاج إلى أجرة للمعلم، فنعطيه وإن لم نعط إخوانه؛ لأنَّ إخوانه لا يحتاجون، هذا ابن يحتاج إلى تزويج ما عنده فلوس فزوجه أبوه لا يلزم أن يعطي

(١) وهذا مما لا يأثم العبد فيه لأنه لا يملك قلبه بيديه، ولكن ينبغي على الأب أن يحاول إخفاءه ما استطاع.

إخوانه مثلما أعطاه للزواج، يلزمه إذا بلغ إخوانه النكاح أن يزوجهم إذا كان عنده شيء، ألم تر أن الإنسان يكون له ابن وبنت الابن يحتاج إلى غترة وطاقية والبنت تحتاج إلى خروص وإلى أسورة وإلى خواتم يعطي الولد قيمة الغترة والطاقية والبنت قيمة الخروص والأسورة والخواتم، أيهم أكثر؟ الثاني أكثر، لكن لأنها تحتاج. ولهذا من الخطأ الفادح والجهل الفاضح: أن بعض الناس إذا زوج أولاده الكبار الذين لا يستطيعون الزواج لأنفسهم وله أولاد صغار أوصى لأولاده الصغار بقدر ما أعطى الكبار للنكاح، وهذا غلط، حتى لو مات فالوصية لا تنفذ، ويعطى ما أوصى به للصغار يدخل في التركة ويقسم على فرائض الله". اهـ

٣) أن يضبط الأب نفسه فلا يُشْعِر أولاده منه بمحبةٍ زائدة لبعض أولاده، فإنَّ هذا مما يقود إلى مالا تُحمد عقباه.

فصـــلٌ:

فيمن وقع في تفضيل بعض أولاده من قبلُ كيف يفعل؟

قال العثيمين في شرح رياض الصالحين (٦/ ٥٣٦):

"فصار طريق العدل فيمن فضل بعض أولاده عن بعض له طرق ثلاثة **فالعدل له طرق ثلاثة، الأول** أن يرد ما فضَّله به **الثاني** أن يعطي الآخرين مثله للذكر مثل حظ الأنثيين **الثالث** أن يستحلهم بشرط أن يحللوه عن قناعة ورضا لا عن خجل وحياء". اهـ والله أعلى وأعلم.

الخطوة الخامسة عشر

سرعة تزويجه إذا بلغ

فإنَّ في تحصينه بالزواج إعفافًا له، وهروبًا به من أمور عظيمة قد يقع فيها والعياذ بالله إذا لم يجد زوجة يفرغ رغبته وشهوته فيها، فقد يلجأ والعياذ بالله إلى أمور محرمة ثم يعتاد عليها ولا يستطيع الفكاك منها حتى ولو تزوج بعد ذلك إلا أن يشاء الله هدايته وسلامته من الآفات والمنكرات.

فكم تجد ممن أَلِفَتْ نفسه على الزنا -والعياذ بالله- واعتاد عليه، يتزوج بعد ذلك لكنه يَعْزِفُ عن زوجته التي تزوجها في الحلال ويرغب في إشباع رغبته في الحرام، ولو كان متزوجًا من أجمل نساء الدنيا فإنَّه يتركها ويذهب يزني بأقبح النساء، وما ذاك إلا لأنه قد اعتادت نفسه الحرام و أَلِفَتْه، ورآه مرتعًا لإفراغ رغباته الشيطانيه فعزف عن الحلال.

وكذا من أَلِفَ على العادة السرية التي ابتلي بها كثير من الشباب -نسأل الله أن يهدينا ويهديهم-، فتجده يتزوج بعد ذلك لكنه يصْعُب عليه التغلب على هذه العادة السيئة المحرمة التي أَلِفها وداوم عليها فترةً من الزمن، فتجده يترك زوجته ويذهب يقترف هذه المعصية.

ويجد نفسه تتوق للنظر للمحرمات من حب الصور والنظر إلى الأفلام الخليعة والماجنة، فيقع في أمرين عظيمين، يعقبها ثالثٌ:

الأول: أنَّه من كثرة مطالعته لصور النساء الجميلات الفاتنات فإنَّه يزهد في زوجته ويكره عشرتها، مما يقوده للتفريط في أعظم حقوقها وهي المعاشرة.

والثاني: أنَّه يكون في نغصٍ من العيش -بالذات من تبصَّر بخطر هذا الأمر- يريد أن يتوب من ذلك الذنب لكنه يعجز عن تركه لتعلقه الشديد بالحرام، والموفق من وفقه الله لطاعته وترك ما يغضبه، والله المستعان.

ثالثًا: أنَّه يُصاب بأمراض خطيرة في جسده من هذه البلوى؛ كأمراض البروستات والمثانة، إضافة إلى مرض قلبه الذي هو أخطرها مرضًا.

ولهذا ينبغي على الأب العاقل الذي يحب أن يصون ولده عن الوقوع في المحرمات أنَّه إذا بلغ ولده أشده واستوى ورأى منه رغبة في الزواج فليبادر وليسارع في تزويجه دون تأخر، وليسابق رياح الفتن بسد بابها عليه في تزويجه وإعفافه، فإنه مأجورٌ على ذلك بإذن الله، وهذا مما يأخذ بيد ولده إلى الصلاح وعدم الفجور، والنأي به عن المعاصي إلى جانب العفاف والغِنَى بالحلال.

وهاك بعض الأحاديث والآثار السلفية في عمل السلف مع الأولاد إذا بلغوا:

روى البيهقي في شعب الإيمان بسندٍ حسنٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"مَنْ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ فَلْيُحْسِنِ اسْمَهُ وَأَدَبَهُ، فَإِذَا بَلَغَ فَلْيُزَوِّجْهُ فَإِنْ بَلَغَ وَلَمْ يُزَوِّجْهُ فَأَصَابَ إِثْمًا، فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى أَبِيهِ "**(١)

قال الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح (٥/ ٢٠٦٤):

""فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى أَبِيهِ" أَيْ: جَزَاءُ الْإِثْمِ عَلَيْهِ لِتَقْصِيرِهِ وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الزَّجْرِ وَالتَّهْدِيدِ لِلْمُبَالَغَةِ وَالتَّأْكِيدِ، قَالَ الطِّيبِيُّ رحمه الله أَيْ جَزَاءُ الْإِثْمِ عَلَيْهِ حَقِيقِيَّةٌ وَدَلَّ هُنَا الْحَصْرُ عَلَى أَنْ لَا إِثْمَ عَلَى الْوَلَدِ مُبَالَغَةً لِأَنَّهُ لَمْ يَتَسَبَّبْ لِمَا يَتَفَادَى وَلَدُهُ مَنْ أَصَابَهُ الْإِثْمُ". اهـ

وعن سُفْيَان بنِ عيينه قَالَ: **" كَانَ يُقَالُ: حَقُّ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ أَنْ يُحْسِنَ اسْمَهُ، وَأَنْ يُزَوِّجَهُ إِذَا بَلَغَ، وَأَنْ يُحَجِّجَهُ، وَأَنْ يُحْسِنَ أَدَبَهُ "**(٢)

---

(١) (**حسن**) ضعفه الألباني في الضعيفة (٧٣٧) من طريق محمد بن العسكري عن أبي يعقوب إسحاق الحربي وقال: رواه ابن بكير الصيرفي في " فضائل من اسمه أحمد ومحمد "... رجاله ثقات معروفون من رجال " التهذيب " غير الحربي وهو ثقة وله ترجمة في " تاريخ بغداد " (٦ / ٣٨٢). والراوي عنه محمد بن عبد الله العسكري لم أعرفه.

قلت: ولكن تابع العسكريَّ الإمامُ الثقة الثبت أحمدُ بن عبيد الصفار كما عند البيهقي في الشعب، وفيه أيضا شداد بن سعيد الراسبي مختلف فيه فقد وثقه النسائي وأحمد وابن معين وضعفه غيرهم والراجح أنه حسن الحديث.

(٢) (**حسن**) رواه ابن أبي الدنيا في النفقة على العيال وإسناده حسن إليه.

وعن أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ: "إِذَا عَلَّمْتُ وَلَدِي الْقُرْآنَ، وَحَجَّجْتُهُ، وَزَوَّجْتُهُ فَقَدْ قَضَيْتُ حَقَّهُ، وَبَقِيَ حَقِّي عَلَيْهِ "(١)

فبالحديث السابق وهذه الآثار السلفية يتضح أنَّ واجب الأب لا يقتصر على مجرد التربية والتعليم بل حتى يشمل الزواج.

وإعفافُ المرءِ نفسَه، أو من تلزمه نفقته، أو من هو تحت ولايته، مطلوب شرعا على سبيل الوجوب أو الندب.

وقد اختلف أهل العلم هل يجب على الأب أن يزوج ولده أم هو من باب الاستحباب؟

الجواب: ذهب الحنفية وبعض الشافعية إلى أنَّه لا يجب على الأب أن يزوج ولده، وذهب البعض الآخر من الشافعية والحنابلة إلى أنَّه يجب على الأب أن يزوج ولده الفقير إذا احتاج إلى زواج.

قال صاحب المغني: (٩/ ٢٥٨)

"فصل: ويلزم الرجل إعفاف ابنه إذا احتاج إلى النكاح وهذا ظاهر مذهب الشافعي". اهـ

وقال أيضا في المغني (٨/ ٢١٧):

"فَصْلٌ: قَالَ أَصْحَابُنَا: وَعَلَى الْأَبِ إعْفَافُ ابْنِهِ إذَا كَانَتْ عَلَيْهِ، نَفَقَتُهُ، وَكَانَ مُحْتَاجًا إلَى إعْفَافِهِ. وَهُوَ قَوْلُ بَعْضِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا يَجِبُ ذَلِكَ

(١) (**حسن**) رواه ابن أبي الدنيا في النفقة على العيال وإسناده حسن إليه.

عَلَيْهِ. وَلَنَا، أَنَّهُ مِنْ عَمُودَيْ نَسَبِهِ، وَتَلْزَمُهُ نَفَقَتُهُ، فَيَلْزَمُهُ إعْفَافُهُ عِنْدَ حَاجَتِهِ إلَيْهِ، كَأَبِيهِ". اهـ

أقول:

يتضح لنا من هذا أنَّ الأمر فيه تفصيلٌ وهو:

١) إذا كان الولد فقيرًا ولا يجد ما يتزوج به، والوالد على حال ميسورة بما يستطيع أن يزوج ولده بها، فإنه يجب عليه أن يزوجه لأنها من جنس النفقة التي يحتاجها الولد، ويؤيد هذا الحديث الذي مر بنا وهو ما رواه البيهقي في شعب الإيمان بسند حسن عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"مَنْ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ فَلْيُحْسِنِ اسْمَهُ وَأَدَبَهُ، فَإِذَا بَلَغَ فَلْيُزَوِّجْهُ فَإِنْ بَلَغَ وَلَمْ يُزَوِّجْهُ فَأَصَابَ إِثْمًا، فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى أَبِيهِ"**

ولِما مر بنا من الآثار التي تؤيد ذلك.

٢) وإن كان الوالد معسرًا ولا يجد ما يزوج به ولده فإنَّه لا يجب عليه في تلك الحال، لقول الله سبحانه ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وإن كان يستطيع أن يعينه ولو بشيء يسير أعانه في ذلك لدخوله في الآية.

وهذا التفصيل يرفع الحرج عن كثير من الآباء وبالله التوفيق.

قال العلامة العثيمين في " اللقاء الشهري "(٢٨) :

"وأوصي أيضاً الآباء بالنسبة لأبنائهم وبناتهم: أن يتقوا الله تعالى فيهم، لأنَّ الأب إذا كان قادراً على تزويج ابنه وجب عليه أن يزوجه وجوباً كما يجب أن يكسوه

ويطعمه ويسقيه ويسكنه يجب عليه أن يزوجه، والعجب أنَّه يوجد آباء أغنياء يقول له الولد : زوجني ، فيقول : لا أزوجك ، أنت اعمل وزوج نفسك ، سبحان الله! الأمر بيده، هل الدراهم موجودة على الرمال ورؤوس الجبال؟ أبدًا، ولهذا نرى أن الرجل القادر على تزويج أبنائه يجب عليه أن يزوجهم وجوبًا، فإن لم يفعل فهو ظالم آثم، ولست أقول هذا من عند نفسي بل قاله العلماء رحمهم الله ، **قالوا** : إنه يجب على الرجل أن يعفَّ أبناءه كما يجب عليه أن يسد جوعهم وعطشهم ، بل قد تكون مسألة الزواج أخطر ؛ لأنها قد تتعدى إلى الغير فيفسد غيره .

فيجب على الآباء أن يزوجوا أبناءهم إذا كانوا قادرين" . اهـ

وقال:

"حاجة الإنسان إلى الزواج ملحة قد تكون في بعض الأحيان كحاجته إلى الأكل والشرب، ولذلك قال أهل العلم: إنه يجب على من تلزمه نفقة شخص أن يزوجه إن كان ماله يتسع لذلك، فيجب على الأب أن يزوج ابنه إذا احتاج الابن للزواج ولم يكن عنده ما يتزوج به ، لكن سمعت أنَّ بعض الآباء الذين نسوا حالهم حال الشباب إذا طلب ابنه منه الزواج قال له : تزوج من عرق جبينك . وهذا غير جائز، وحرام عليه إذا كان قادراً على تزويجه، سوف يخاصمه ابنه يوم القيامة إذا لم يزوجه مع قدرته على تزويجه" . اهـ

• **فصـــلٌ:**

وهكذا البنات ينبغي على الأب أنَّه إذا بلغت ابنته سنًا تشتهي فيه الزواج أنَّه لا يمنعها من ذلك، ويبحث لها عمن يرتضيه لها وليس ذلك عيبًا ولا حرامًا.

ولا يختص هذا بالذكور فقط فالبنات أولى في ذلك لما يَحصل فيهن ومنهن من الفساد، فإذا سارع الأب في تزويجها، حماها من الفتن وحجب فتنتها عن الناس.

ولنا في قصة عمر مع ابنته موعظة عظيمة.

فقد أخرج البخاري من حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُحَدِّثُ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لاَ أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ زَوَّجْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، وَكُنْتُ أَوْجَدَ عَلَيْهِ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ "خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ" فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ قَالَ عُمَرُ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَوْ تَرَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبِلْتُهَا"

قال العراقي في طرح التثريب (٧/ ١٧):

"استدل به على أنَّه لا بأس بعرض الإنسان بنته وغيرها من مولياته على من يعتقد خيره وصلاحه لما فيه من النفع العائد عليها وعلى المعروضة عليه، وأنَّ ذلك لا ينبغي الاستحياء منه وقد بوب على ذلك البخاري والنسائي". اهـ

وهذا سعيد بن المسيب يتقدم لابنته أولاد الأمراء فيأبى ويبحث لها بنفسه عن زوج يرتضي دينه وخلقه، ففي سير أعلام النبلاء: "عَنِ ابْنِ أَبِي وَدَاعَةَ -يَعْنِي: كَثِيْرًا- قَالَ: كُنْتُ أُجَالِسُ سَعِيْدَ بنَ المُسَيِّبِ، فَفَقَدَنِي أَيَّامًا فَلَمَّا جِئْتُهُ، قَالَ: أَيْنَ كُنْتَ؟ قُلْتُ: تُوُفِّيَتْ أَهْلِي، فَاشْتَغَلْتُ بِهَا. فَقَالَ: أَلَّا أَخْبَرْتَنَا فَشَهِدْنَاهَا. ثُمَّ قَالَ: هَلِ اسْتَحْدَثْتَ امْرَأَةً؟ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ وَمَنْ يُزَوِّجُنِي وَمَا أَمْلِكُ إِلَّا دِرْهَمَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً؟ قَالَ: أَنَا. فَقُلْتُ: وَتَفْعَلُ؟ قَالَ: نَعَمْ ثُمَّ تَحَمَّدَ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَزَوَّجَنِي عَلَى دِرْهَمَيْنِ أَوْ قَالَ: ثَلاَثَةٍ فَقُمْتُ، وَمَا أَدْرِي مَا أَصْنَعُ مِنَ الفَرَحِ، فَصِرْتُ إِلَى مَنْزِلِي وَجَعَلْتُ أَتَفَكَّرُ فِيْمَنْ أَسْتدِيْنُ. فَصَلَّيْتُ المَغْرِبَ، وَرَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي، وَكُنْتُ وَحْدِي صَائِمًا فَقَدَّمْتُ عَشَائِي أُفْطِرُ، وَكَانَ خُبْزًا وَزَيْتًا فَإِذَا بَابِي يُقْرَعُ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: سَعِيْدٌ فَأَفْكَرْتُ فِي كُلِّ مَنِ اسْمُهُ سَعِيْدٌ إِلَّا ابْنَ المُسَيِّبِ فَإِنَّهُ لَمْ يُرَ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً إِلَّا بَيْنَ بَيْتِهِ وَالمَسْجِدِ، فَخَرَجْتُ، فَإِذَا سَعِيْدٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ بَدَا لَهُ. فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِلَّا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَآتِيَكَ؟ قَالَ: لاَ أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ تُؤْتَى، إِنَّكَ كُنْتَ رَجُلاً عَزَبًا فَتَزَوَّجْتَ فَكَرِهْتُ أَنْ تَبِيْتَ اللَّيْلَةَ وَحْدَكَ وَهَذِهِ امْرَأَتُكَ فَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ مِنْ خَلْفِهِ فِي طُوْلِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهَا، فَدَفَعَهَا فِي البَابِ وَرَدَّ البَابَ. فَسَقَطَتِ المَرْأَةُ مِنَ الحَيَاءِ فَاسْتَوْثَقْتُ مِنَ

البَابِ ثُمَّ وَضَعْتُ القَصْعَةَ فِي ظِلِّ السِّرَاجِ لَكِي لاَ تَرَاهُ ثُمَّ صَعِدْتُ السَّطْحَ فَرَمَيْتُ الجِيْرَانَ فَجَاؤُوْنِي فَقَالُوا مَا شَأْنُكَ فَأَخْبَرْتُهُم وَنَزَلُوا إِلَيْهَا وبلغ أمي فَجَاءتْ، وَقَالَتْ: وَجْهِي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ إِنْ مَسَسْتَهَا قَبْلَ أَنْ أُصْلِحَهَا إِلَى ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ. فَأَقَمْتُ ثَلاَثًا، ثُمَّ دَخَلْتُ بِهَا، فَإِذَا هِيَ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ، وَأَحْفَظِ النَّاسِ لِكِتَابِ اللهِ، وَأَعْلَمِهِم بِسُنَّةِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَأَعْرَفِهِم بِحَقِّ زَوْجٍ. فَمَكَثْتُ شَهْرًا لاَ آتِي سَعِيْدَ بنَ المُسَيِّبِ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي حَلْقَتِهِ، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ، وَلَمْ يكلمني حتى تقوض المجلس. فلما لم يبقى غَيْرِي، قَالَ: مَا حَالُ ذَلِكَ الإِنْسَانِ؟ قُلْتُ: خَيْرٌ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ عَلَى مَا يُحِبُّ الصَّدِيْقُ، وَيَكْرَهُ العَدُوُّ. قَالَ: إِنْ رَابَكَ شَيْءٌ فَالعَصَا فَانْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي فَوَجَّهَ إِلَيَّ بِعِشْرِيْنَ أَلْفَ دِرْهَمٍ". اهـ

فمن لنا بمثل سعيد رحمه الله ممن يحرص على ستر وعفاف ابنته، والله المستعان.

الخطوة السادسة عشر

تفقده بعد تزويجه وتعاهده بالنصح

وهذه من الخطوات المهمة في استمرار صلاح الأبناء، فإنَّ كثيرًا من الناس يظن أنَّه بمجرد أن زوج ولده انتهت مسئوليته تجاه ولده، وهذا ليس بصحيح.

ولنتمعَّن في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٣]

فهذا يعقوب يجمع بنيه –ومنهم المتزوجون – عند موته، ويتفقد عقيدتهم، وما هم عليه من التوحيد، وهذا يدلك على حسن الرعاية والشعور بالمسئولية تجاه هؤلاء الأبناء.

وانظر إلى إبراهيم وحسن صنيعه في تفقد ولده، وتركته.

ففي البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه:

" وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ

أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ اللَّحْمُ، قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ المَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ"**. قَالَ: فَهُمَا لاَ يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ، قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ العَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ، ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ... " الحديث بطوله

قال الحافظ في فتح الباري (٦/ ٤٠٤):

"قوله (**يطالع تَرِكته**) بكسر الراء أي: يتفقد حال ما تركه هناك، وضبطها بعضهم بالسكون وقال: التركة بالكسر بيض النعام ويقال لها التريكة، قيل لها ذلك: لأنها حين تبيض تترك بيضها وتذهب ثم تعود تطلبه فتحضن ما وجدت سواء كان هو أم غيره". اهـ

وانظر كذلك لحسن صنيع نبينا عليه الصلاة والسلام:

ففي الصحيحين من حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ عليها السلام لَيْلَةً، فَقَالَ: **"أَلاَ تُصَلِّيَانِ؟** " فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾[الكهف: ٥٤]"

وتفطن لهذه النكتة التي ذكرها الطبري في سبب طَرْقِ النبي ﷺ لابنته وبن عمه ليلا، في وقتٍ الناس فيه بحاجة للنوم والراحة.

قال الحافظ في فتح الباري (٣/ ١١):

"قَالَ الطَّبَرِيُّ: لَوْلَا مَا عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عِظَمِ فَضْلِ الصَّلَاةِ فِي اللَّيْلِ مَا كَانَ يزعج ابْنَته وبن عَمِّهِ فِي وَقْتٍ جَعَلَهُ اللَّهُ لِخَلْقِهِ سَكَنًا لَكِنَّهُ اخْتَارَ لَهُمَا إِحْرَازَ تِلْكَ الْفَضِيلَةِ عَلَى الدَّعَةِ وَالسُّكُونِ امْتِثَالًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [طه: ١٣٢] الْآيَةَ".

اهـ

فعُرِف السبب من ذلك؛ وهو العمل بما أمره الله من أمر الأهل بالصلاة.

فليت شعري أين كثيرٌ من المسلمين الذين رموا ببناتهم في أحضان من لا يصلي المفروضة -فضلاً عن قيام الليل-، أين هم من هذه الآية والعمل بها، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقد قال بعض السلف: "من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها".

وفي الصحيحين عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ، فَقَالَ: **"عَلَى مَكَانِكُمَا"**. فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ: **"أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ"**».

قال شيخ الإسلام في الكلم الطيب (صـ: ٢٧):

"وقد بلغنا أنَّه من حافظ على هؤلاء الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانيه من شغل ونحوه". اهـ

قلت: انظر كيف كان حرص النبي ﷺ على أن يدل ابنته على خير ما يعلمه لها، حتى بعد أن تزوجت وصار لها من يقوم بأمرها.

فينبغي عليك يا أيها الأب أن تحرص على تفقد أولادك حتى بعد زواجهم، والنصح لهم وحثهم على الخير وتثبيتهم في أمر دينهم، والله الموفق إلى كل خير.

وفي الأخير:

هذه كلمات كتبناها رغبةً في النصح للمسلمين، وسعيًا في إصلاح أحوال الأبناء نرجو من الله أن ينفع بها كاتبها وقارئها.

فإن أَجَدْنَا وأَحْسَنَّا فهذا من توفيق الله وفضله، ونسأله من واسع فضله ومنته وعظيم كرمه، وإن قصَّرنا وأخطأنا فمن عند أنفسنا وبسبب ذنوبنا ونسأله عفوه وغفرانه.

والحمد لله رب العالمين أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

كتبه

أبو عبد الرحمن

خليل بن عبد الله بن أحمد الحمادي

فهرس الموضوعات

مقدمة الشيخ..... ٣
يحيى بن علي الحجوري ٣
مقدمة ٤
الخطوة الأولى ٥
الاستقامة على دين الله ٥
فصلٌ: ١٣
وإنما قلنا: إنَّ هذه الخطوة هي الأولى وهي أهمُّ خطوةٍ بعد توفيق الله لأمور ومنها: ١٣
الخطوة الثانية..... ١٨
اختيار الزوجة الصالحة ١٨
الخطوة الثالثة..... ٣٢
عدم المنكرات في العُرس ٣٢
فصلٌ: ٣٤
وقد يتأخر أثرُ الذنب وعقوبته، ٣٤
فصلٌ: في بعض آثار منكرات الأعراس على العروسين: ٣٥
فصلٌ ٣٩
في بعض عواقب الذنوب عامة: ٣٩
الخطوة الرابعة ٤٢
ذكر الله عند الجماع..... ٤٢
فصلٌ:..... ٤٤
الخطوة الخامسة..... ٤٥
حُسن التسمية للولد ٤٥
فصلٌ:..... ٥٢
في مشروعية تغيير من كان اسمه مكروهًا ولو كان كبيرًا:..... ٥٢
فصلٌ في بعض الأسماء المكروهة:..... ٥٣

الخطوة السادسة ٥٧
العَقُّ عنه بما تيسر ٥٧
فصلٌ: ٥٨
ولهذا كان لابد للوالد في عقيقته لولده من أمورٍ ومنها: ٥٩
الخطوة السابعة ٦٢
الدعاء له ٦٢
الخطوة الثامنة ٦٥
تعليقه بالله من صغره ٦٥
وذلك يكون بأمور ومنها: ٦٥
الخطوة التاسعة ٧١
إحياء البيت بذكر الله ٧١
فصـــلٌ: ٧٥
فصـــلٌ: ٧٨
الخطوة العاشرة ٨١
تجنيبه المدارس ذكرًا كان أو أنثى، والأنثى أشد ٨١
○ومن هذه الأمور التي نذكرها دون استرسال فيها: ٨١
فصلٌ: في التلميح لخطر تدريس البنات في المدارس: ٩٧
قال الشيخ أحمد شاكر: ١٠١
الخطوة الحادية عشر ١٠٥
تعليمه العلمَ النافع علمَ الكتاب والسنة ١٠٥
الخطوة الثانية عشر ١١٩
تجنيبه الهواتف السيارة والتليفونات ١١٩
الخطوة الثالثة عشر ١٢٢
اختيار الأصحاب له وتجنيبه الرفقة السيئة ١٢٢
الخطوة الرابعة عشر ١٢٩

العدل بين الأولاد.....١٢٩
فصـــلٌ: ١٣٤
فيمن وقع في تفضيل بعض أولاده من قبلُ كيف يفعل؟ ١٣٤
الخطوة الخامسة عشر ١٣٥
سرعة تزويجه إذا بلغ.....١٣٥
وهاك بعض الأحاديث والآثار السلفية في عمل السلف مع الأولاد إذا بلغوا: ١٣٧
الخطوة السادسة عشر ١٤٤
تفقده بعد تزويجه وتعاهده بالنصح ١٤٤
وانظر كذلك لحسن صنيع نبينا عليه الصلاة والسلام: ١٤٦
قال الحافظ في فتح الباري (٣/ ١١): ١٤٦
وفي الأخير: ١٤٨